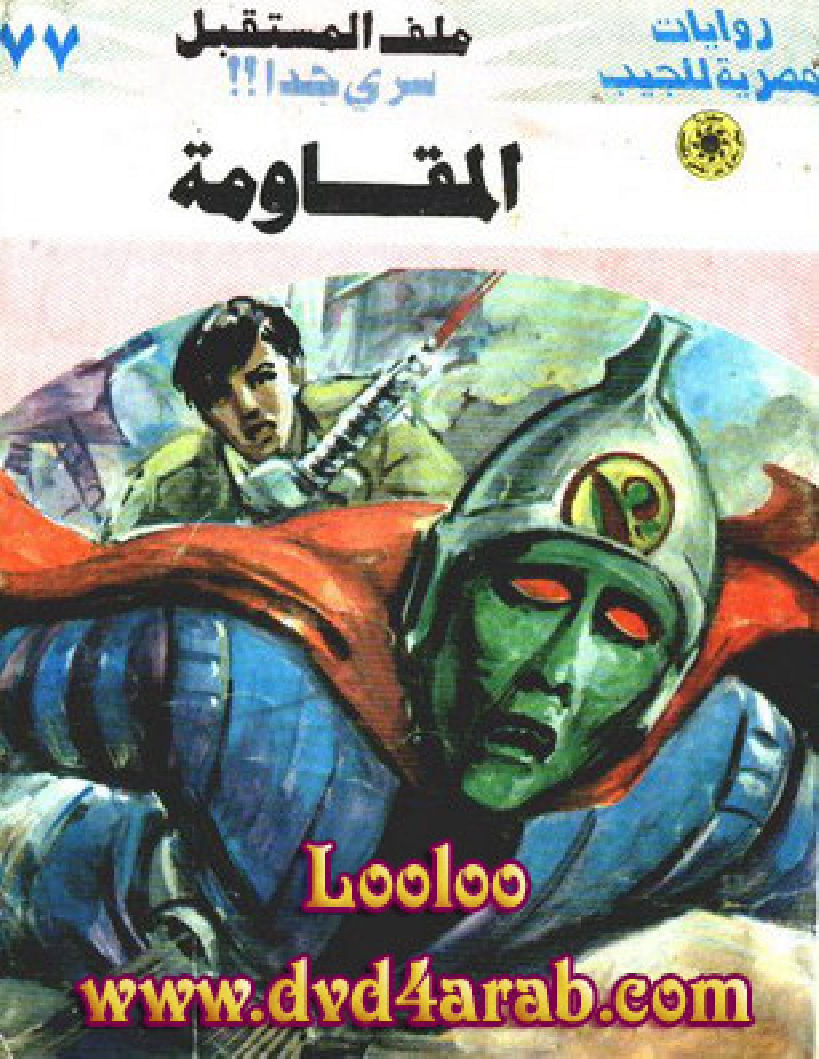


روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً!!
٧٧
المقاومة
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف
د. نبيل فاروق

المقاومة

- ترى .. هل تستسلم الأرض كلها لاحتلال إمبراطور (جلوريال) ؟
- هل يمكن أن تنهار حضارة كوكب بأكملها ، وتاريخه ، تحت وطأة الاحتلال ؟
- ما مصير (نور) ورفاقه ؟ أيستسلمون بدورهم ، أم يكونون أول حلقة لـ (المقاومة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض ..

٧٧



الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الصراع



١ ـ وبكى التاريخ ..

عام مضى ..

عام كامل من الاحتلال ..

احتلال الأرض ..

عام بدا للجميع أشبه بدهر كامل ..

لم تعد الأرض هى ذلك الكوكب ، الذى عرفه سكّانه ، فى القرن الحادى والعشرين ..

ذهبت الحضارة ..

انهار العلم ..

بكى التاريخ ..

فقد البشر كل تطوّرهم وحريتهم وأمنهم ..

ما صنعته الحرّيّة والحضارة فى قرون ، حطّمه القهر والاحتلال فى عام واحد ..

دمّره ..

سحقه ..

وخبا بريق الأمل فى العيون ..
انسحقت الكبرياء ، تحت أقدام الظلم ..
صارت كل أوجه الحضارة محظورة ممنوعة ..
الاستماع إلى الموسيقى فقط ، كان يكفى كجريمة عقوبتها الإعدام ..
لم تعُد هناك تكنولوجيا ..
لم تعُد هناك حضارة ..
فقط عمل .. وقهر ..
جنود الإمبراطور (آغرو) يملئون طرقات كل البلدان ، فى قارات العالم الست ، بعيونهم الحمراء فى لون الدم ، وبشرتهم الخضراء ، وزيّهم الأزرق اللامع ، الذى تتوسّطه دائرة حمراء ، وبنادقهم الخفيفة ، التى تُطلق تلك الأشعة الأرجوانية الساحقة ..
فقدت كل دول العالم استقلاليتها وحريتها ..
لم يعُد هناك سوى علم واحد ..
علم (جلوريال) .. كوكب المحتلين ..
وفى سماء الأرض ، كانت هناك ملايين المقاتلات ..
مقاتلاتهم ..

وفى الفضاء كانت هناك آلاف الأقمار الصناعية ، المزوّدة بمدافع الليزر القتالية والدفاعية ..
أقمارهم فقط ..
وكان هناك ذلك الرُّعب الطائر ..
مراقب فضائىّ عملاق ، تقتصر مهمته على مراقبة الأرض فى كل لحظة ، وتسجيل كل ما يحدث على سطحها من ظواهر ، وسحق كل ظاهرة عجيبة ، لا تتفق مع برنامجه ، على الفور .. سحقها بلا رحمة !!
هكذا كانت الصورة ، بعد عام كامل من الاحتلال ..
وفى أذهان كل سكان الأرض — بلا استثناء — لم تكن أحداث البداية قد امّحت بعْدُ ..
بداية الاحتلال ..

* * *

بدأ الأمر بسيل من النيازك ، التقطته راصدات مركز الاستشعار الفضائىّ المصرىّ ، وهو يندفع نحو الأرض ..
ولقد أثار الأمر ذعرًا شديدًا ..
كانت النيازك بالغة الضخامة ، تتجه نحو الأرض فى سرعة مخيفة ، مما يجعل ارتطامها بها حتميًا ..

وفجأة ، انفصلت بعض تلك النيازك عن البعض ، وعبرت الغلاف الجوى الأرضى كعشرات الكُرات النارية الملتهبة ، واستقرت فى كل قارات العالم ، ثم لم تلبث كل خمسة منها أن تقاربت ، وأحاطت بها قبة وردية ..

وفشلت كل محاولات اختراق تلك القباب ..

كل تكنولوجيا القرن الحادى والعشرين فشلت فى اختراقها ..

وظهر نيزك آخر بالغ الضخامة ..

وفجأة ، حطم ذلك النيزك كل أقمار الأرض الدفاعية ، مستخدمًا أشعة أرجوانية ساحقة ، تحيل كل ما تمسه إلى رماد ..

وكانت هذه إشارة البدء ..

فجأة ، تحولت كل القباب من اللون الوردى إلى الأزرق ، وانطلقت منها آلاف المقاتلات الصغيرة ، التى راحت تسحق وتدمر كل ما تصل إليه ، مستخدمة أشعة أرجوانية مماثلة ..

وكان هدف هذه المقاتلات هو الحضارة ..

كل أوجه الحضارة ..

وانهارت المتاحف ودور الكتب العامة ..

انسحقت مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

حتى دور الأوبرا ومعاهدها ..

وانطلق (نور) ينشد النجاة ..

وأنقذ ابنته وزوجته ، وانطلق الثلاثة يسعون لإنقاذ (رمزى) و (محمود) ، والدكتور (حجازى) ..

ولكنهم عثروا على (محمود) فقط ..

كان منزل (رمزى) قد انسحق تمامًا ، ومنزل الدكتور (حجازى) خاليًا ..

وانطلق بهم (نور) ، فى محاولة أخيرة ، إلى مبنى المخابرات العلمية ..

ولم يكن المبنى هناك ..

كان قد انسحق ..

وكان على الأربعة أن يهبطوا إلى المقر السفلى الخفى ..

ولقد فعلوا ..

وفى نفس الوقت ، كانت سفينة القيادة الإمبراطورية قد هبطت إلى الأرض ، واختارت صحراء (مصر) الغربية كمركز لقيادة الغزو ..

وداخل سفينة القيادة ، كان إمبراطور الغزاة (آغرو)

يُصدر أوامره بضرورة البحث عن الرائد (نور) وقتله ، بعد أن وجد ملفًا كاملًا عنه ، فى كوكب (أرغوران) بعد احتلاله ..

وفى المركز السِّرِّىّ لقيادة المخابرات العلمية المصرية ، التقى (نور) ورفاقه بالقائد الأعلى ، والدكتور (عبد الله) ، مدير إدارة البحث العلمىّ ، وأعطى الأوّل لـ (نور) حقيبة بالغة الخطورة ، تضمّ عددًا من مكعبات الكمبيوتر ، تحوى كل حضارة وتاريخ كوكب الأرض ، وأخبره أنها الأمل الوحيد فى استعادة حضارة ، ومجد ، وتاريخ هذا الكوكب يومًا ما ، وطلب منه الحفاظ عليها ، والدفاع عنها ، وحمايتها بحياته ، ثم ساعده مع فريقه على الفرار ، عَبْر نَفَق سرِّىّ للطوارئ ، يستحيل كشفه ، وبقى هو والدكتور (عبد الله) يواجهان قوات المحتلّين ، التى اقتحمت المقر السِّرِّىّ لإدارة المخابرات العلمية المصرية ..

ويواجهان مصيرهما ..

أما (نور) ورفاقه ، فقد وجدا فى ذلك النَّفَق قاعة تكنولوجية كاملة ، هى — على الأرجح — آخر نقطة حضارية فى العالم أجمع ..

وعَبْر شاشاتهم الراصدة ، فى المقرّ السِّرّىّ ، رأى الأربعة راية زرقاء ، تتوسطها دائرة حمراء ، ترتفع فى كل مكان ..

وكانت راية (جلوريال) ، كوكب الغزاة ..

راية الاحتلال(*) ..

* * *

هوَت قبضة إمبراطور (جلوريال) على مسند عرشه البلّورىّ كقنبلة ، وهو يهتف فى غضب عارم :

— لم تجدوه ؟!.. ماذا تعنى بأنكم لم تجدوه يا (كوماد) ؟!.. إنك قائد جيشى ، ولقد خوّلتك سلطة مطلقة ، لا تفوقها سوى سلطتى أنا نفسى ، وهذا يعنى أنك تمسك كل مقاليد الأمور ، فكيف تفشل مع كل رجالك فى العثور على رجل واحد ، طوال عام كامل من البحث ؟!

كان (كوماد) هذا يشبه إمبراطوره كثيرًا ، بل يبدو أشد قوة وحزمًا وصلابة ، وهو يرتدى نفس الزّىّ ، الذى يرتديه الجنود بالإضافة إلى حرملة حمراء ، تميّزه كقائد عام لجيش (جلوريال) ، وكان يبدو هادئًا — على الرغم من غضب إمبراطوره — وهو يقول :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

— لقد بذل الرجال أقصى جهدهم ياسيّدى ، ولقد استفدنا كل وسائل البحث ، وجمع المعلومات ، ولم يدلّنا أى أرضىّ على أثر — ولو ضئيل — يمكّننا من العثور على ذلك الأرضىّ ، أو حتى إثبات وجوده ، حتى لقد بات الرجال يتصوّرون أنهم إنما يطاردون سرابًا ، أو وهمًا هولوجرافيًا ، ممّا أشاع بينهم موجة من التذمُّر والسخط .

صاح الإمبراطور (آغرو) فى غضب هادر :

— أى تذمُّر وأىّ سخط ؟!.. لا حق للجنود فى تذمُّر أو سخط .. سآمر بإعدام كل من يبدى ذلك .

قال (كوماد) فى هدوء ، يحمل نبرة حازمة :

— خطأ ياسيّدى .

صاح الإمبراطور فى ثورة :

— خطأ ؟!.. كيف تجرؤ على التفوّه بتلك الكلمة الحمقاء ، فى وجه إمبراطورك العظيم .

بدا وكأن (كوماد) لا يبالى مطلقًا بثورة إمبراطوره ، وهو يقول :

— من الخطأ أن نهدّد جنودنا ، فى عالم نحتله ياسيّدى ؛ لأنهم هم مصدر قوّتنا هنا ، ويدنا الباطشة بكل من يجرؤ على مقاومتنا ، أو تحدّينا ، ثم إنهم على حقّ بعض الشىء .

هتف الإمبراطور فى سخط واستنكار :

— على حقّ ؟!.. أى حقّ هذا ؟

أجابه (كوماد) فى هدوء :

— أنت وحدك تؤكد أن هذا الرجل ما يزال حيًا ياسيّدى ، فى حين تؤكّد كل الظواهر العكس ، فمنذ عام أرضىّ كامل ، ومنذ تمّت لنا السيطرة الكاملة على هذا الكوكب ، لم نسمع يومًا ، ولم نعرف شيئًا أتاه ذلك الأرضىّ ، المعروف باسم الرائد (نور) .. وهذا يتنافى حتمًا مع ما تؤكّده دوْمًا ياسيّدى ، من أنه أخطر رجل على وجه الأرض ، إلا إذا ....

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

— إلا إذا كان قد لقىَ حتفه بالفعل .

عقد الإمبراطور حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول فى جدّة :

— إنه لم يمُت .. لم أشعر بذلك .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (كوماد) ، وكأنما يستخف بقول إمبراطوره ، وقال :

— لسنا نعمل بالشعور وحده ياسيّدى ، ومن العسير أن تقنع جنودنا بتقبُّل ذلك التفسير .

غمغم الحكيم (جلاكس) ، الذى ظلّ صامتًا طيلة الوقت :

ـــ هذا صحيح .

رمقه الامبّراطور بنظرة غاضبة ، ثم التفت إلى (كوماد) ، صائحًا :

ـــ أنت تجهل قُدرات إمبراطورك يا (كوماد) ، وما دمت أؤكد أن الرائد (نور) حىّ ، فهو كذلك ، ولو أنه لم يفعل شيئًا حتى الآن ، فلأنه يستعد لذلك حتمًا .

قال (كوماد) فى هدوء ، يحمل رنّة ساخرة :

ـــ طوال عام كامل ؟!

أجابه الإمبراطور فى حِدّة :

ـــ نعم .. طوال عام كامل .. لو أنه عبقرىّ حقًا ـــ كما أعلم عنه ـــ فسينتظر طويلًا ، قبل أن يضرب ضربته الأولى ؛ لأنه لن يكشف عن نفسه ، قبل أن يُعلن عن وجوده .

عقد (كوماد) حاجبيه بدوره ، قائلًا فى توتّر :

ـــ هذا يعنى أننا قد أسهمنا ، دون وعى ، فى إعداده للزعامة ، عندما يقرّر أن يبدأ .

سأله الإمبراطور فى توتّر :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه ، وهو يلوّح بذراعه :

ـــ أعنى يا سيّدى أننا ، ومن خلال مطاردتنا له ، طوال عام كامل ، بلا هدف ، ومع نشرنا صورته فى كل قارّة وكل ركن ، قد جعلنا منه البطل ، والأمل ، والزعيم المنتظر ، ونحن نتصوّر أننا نستحثّ القوم على كراهيته ، وإبلاغنا بأمره فور رؤيته .

تمتم الإمبراطور فى عصبيّة :

ـــ وما الحلّ ؟

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ الحل هو أن نستجمع كل قوانا ، ونعدّ خطّة مبتكرة وبارعة ، نحسم بها هذا الأمر ، ونجبر عدوّنا على الخروج من مخبئه ، لو أنه ما يزال على قيد الحياة ، لنواجهه وجهًا لوجه ، ونثبت لرجالنا أنه ليس وهمًا ، و .....

ابتسم فى جذل وحماس ، وهو يستطرد فى قوّة :

ـــ ونقتله .

سأله الإمبراطور فى شغف :

ـــ كيف ؟.. كيف يا (كوماد) ؟

اتسعت ابتسامة (كوماد) ، وهو يقول :

ـــ اطمئن يا سيّدى .. إن لدىّ خطّة .. خطّة ستحسم أمر هذا الرائد الأرضى ، وتخلّصنا منه .. إلى الأبد ..

* * *



اتسعت ابتسامة (كوماد) وهو يقول :
ـــ اطمئن ياسيدى .. إن لدىّ خطة ..

٢ ـــ الزعيم ..

هناك ..

على عمق مائتى متر ، من سطح الأرض ..

فى ذلك المخبإ السرّىّ ..

فى حصن الحضارة الأخير ، على وجه الأرض ..

هناك جلس الزعيم ..

جلس رائد المخابرات العلمية السابق (نور الدين محمود) ..

وفى مجلسه هذا كان صامتًا ، يراقب فى اهتمام وإمعان شاشات الرصد ، التى تنقل إليه كل مايدور فى (مصر) تقريبًا ، عبْرَ أجهزة مراقبة سرّيّة للغاية ، نجحت وسائل المخابرات العلمية المصرية قديمًا ، فى إخفائها عن أعين الغزاة بوسائل شديدة الحذق والبراعة ، حتى أنه لم يتم كشفها حتى اليوم ..

وكان كل ماتنقله الشاشات يسبّب لـ (نور) حزنًا ومرارة ، لم يشعر بمثلهما أبدًا من قبل ..

لقد رأى الحرّيات تُنتهك ، والكرامة توطأ بأقدام الغُزاة ..

رأى بشرًا يُعدمـــون بلا رحمة ، وكل جريمتهم هى أنهم يملكون أجهزة كمبيوتر ..

بل لقد رأى آخرين يُعْدمون ؛ لأنهم يملكون كتابًا واحدًا فقط .

حتى القراءة صارت جريمة بشعة ..

لقد اختار الغزاة هذا الأسلوب الحقير للسيادة ..

أسلوب نشر الجهل ، ومحاربة العلم ..

و (نور) يكره الدمار ..

يكره القسوة ..

يبغض العُنف ..

وكل مايراه كان يحمل هذه الصفات الثلاث ، إلى جوار الوحشية والحقارة والشراسة ..

وفى إشفاق ، تسلّل إليه صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـــ كفاك اليوم يا (نور) .. إنك تطالع تلك المشاهد منذ خمس ساعات كاملة بلا توقّف .

أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة قوية ، تحُبّل إليها أن حرارتها تلفح وجهها ، قبل أن يقول فى صوت حزين :

ـــ لا مجال للراحة يا عزيزتى .. إننا نستعد منذ عام كامل ، لبدء المقاومة ضد الغزاة ، ومشاهداتى تؤكّد أنه فى كل دقيقة نضيعها ، تتسع رُقعة الجهل والتخلّف ، وتتقلّص مساحة الحضارة ، فى عقول وحياة البشر .. لقد بات بدء الصراع حتميًا يا (سلوى) .

ربّتت على كتفه فى حنان ، وهى تقول :

ـــ هل تشعر أنك مستعد ؟

تنهّد مرّة أخرى ، وهزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـــ كلّا .

ثم أسرع يستدرك فى حزم :

ـــ ولكن انتظار الاستعداد التام لن يُسفر عن المزيد .. إن الأمور تتدهور فى سرعة مخيفة .. صحيح أننا قد بذلنا أقصى جهدنا لمراقبة هؤلاء الغُزاة ، ودراسة كل أساليب حياتهم ، ووسائل سيطرتهم على قومنا ، ولكننا مازلنا نفتقر إلى نقطتين ، بالغتى الأهمية : أوّلهما هى لغتهم ، فمن الواضح أن تلك الخوذة الشفّافة ، التى تغطى رءوسهم ، تحوى جهازًا خاصًا ، أو كمبيوتر ترجمة ، يتيح لهم فهم لغتنا ، والتحدّث بها ، فى حين نعجز نحن عن فهم حرف واحد من لغتهم ، وهذه الخوذة تشبه خوذة صنعتها أنت يا (سلوى) .

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـــ نعم .. تشبه تلك الخوذة ، التى أنقذتنا من كوكب الأساطير(*) .

قال فى اهتمام :

ـــ هذا صحيح .. وهذا يعنى أننا نملك القدرة على صنع مثلها ، ولكن ينقصنا أن نحصل على لغة هؤلاء الغزاة .

تنهدت قائلة :

ـــ نعم .. تنقصنا لغتهم .

ثم سألته فى اهتمام :

ـــ ما الأمر الثانى ؟

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ الهدف .. هدفهم .

عقدت حاجبيها ، مغمغمة فى حَيْرة :

ـــ أى هدف ؟.. لقد احتلوا الأرض ، وهذا يكفى .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الأسطورة) ... المغامرة رقم (٥٠) .

ـــ الاحتلال ليس هدفًا فى حدّ ذاته يا عزيزتى .. إنه وسيلة لتحقيق هدف ما .

قالت فى اهتمام :

ـــ ربما تحطَّم كوكبهم لسبب أو لآخر ، ويحتاجون إلى كوكب بديل .

لوَّح نفيًا ، وقال :

ـــ فى هذه الحالة كانوا سيبيدوننا عن آخرنا ، وينعمون بالعيش فى كوكب أخير .. ولقد كانوا يملكون القدرة على ذلك ، ولكنهم تركونا .. فلماذا ؟

قالت فى قلق :

ـــ فِيمَ تفكِّر يا (نور) ؟

نهض من مقعده ، وراح يتحرَّك فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ إننى أتساءل فحسب يا عزيزتى .. لماذا يبحث إمبراطور هؤلاء الغزاة عنّى بالذات ؟.. وكيف تعرَّفنى ؟.. ولماذا يريد الإبقاء على سكان الأرض ، متجشمًا نفسه مشقة السيطرة عليهم طيلة الوقت ؟.. ولماذا امتصت تلك الأسطوانات اللامعة كل طاقتنا الذريَّة ؟.. لماذا ؟.

غمغمت فى توتُّر :

— لست أدرى ، ولكنَّ هناك سببًا لكل هذا حتمًا .

أجاب فى حزم :

— بالتأكيد .. ولكن ما هو ؟

قالت فى توتُّر :

— ربَّما ..

قبل أن تتمَّ عبارتها ، ارتفع أزيز متصل قوىّ ، وراح مصباح بنفسجى يتذبذب فى سرعة وقوّة ، فهتفت فى لهفة :

— لقد عاد (محمود) و (نشوى) .

قالتها ، وأسرعت تضغط زرًّا صغيرًا ، فانزاح جزء من الحائط فى بطء ، وظهر خلفه (محمود) و (نشوى) ، اللذان أسرعا يدلفان إلى المخبأ السِّرّىّ ، وعاد الحائط يلتحم من خلفهما ، و (نور) يسألهما فى لهفة واهتمام :

— كيف كان الأمر ؟

أجاب (محمود) فى صوت خافت :

— مؤسفًا .

وجلس أمام (نور) ، مستطردًا فى انفعال :

— لقد سيطر أولئك المحتلون على قومنا سيطرة تامة ، والجميع يرتجفون لمجرد ذكر اسمهم ، ولقد كان هناك رافضون فى البداية ، ولكن المحتلين أعدموهم عن آخرهم ، ففقد أهل الأرض كل أمل ..

وهنا هتفت (نشوى) فى حزم :

— سواك يا أبى .

رفع (نور) عينيه إليها ، مغمغمًا بلا انفعال :

— أنا ؟!

أجابت فى حماس :

— نعم .. أنت .. إن صورتك تملأ الطرقات ، والمحتلون يبحثون عنك منذ عام كامل ، حتى لقد صِرْتَ أسطورة ، يتحدَّث البشر بها سرًّا ، ويحلمون بتحوُّلها إلى حقيقة .

تمتم (نور) فى شرود :

— يحلمون ؟!

أدرك (محمود) معنى كلمة (نور) ، فقال فى تعاطف :

— لم يعُد بإمكانهم سوى هذا يا (نور) .. إنهم يتعرَّضون منذ عام كامل لألوان شتى من القهر .. أتعلم أن المحتلين قد استوقفونا ست مرَّات ، أنا و (نشوى) ، قبل أن نصل إلى هنا ؟.. لقد كان من الممكن أن يعدمونا على الفور ، لولا بطاقات المرور المزيَّفة ، التى صنعها لنا الكمبيوتر ، بناءً على ذلك البرنامج الرائع ، الذى وضعه (نشوى) .

قال (نور) فى اهتمام :

— إذن فتلك البطاقات ناجحة .

هتفت (نشوى) :

— جدًا .. خاصة وأنهم لايتخيلون أبدًا وجود أجهزة كمبيوتر حديثة كهذه ، بعد كل مافعلوه لمنع تواجدها .

سألهما (نور) بمزيد من الاهتمام :

— وماذا أيضًا ؟

أجابه (محمود) :

— دوريات المحتلين تملأ كل الطرقات ، وهناك حظر تجوال بعد العاشرة مساءً ، وطوال الليل ، تجوب عيون الحراسة المدن .. أنت تعرف عيون الحراسة بالطبع .. إنها تلك الكُرات الشفافة ، التى تشبه عيون البشر ، والمزودة بأجهزة لاقطة ، ومدافع أشعة أرجوانية دقيقة ، وما إن تلتقط أجهزتها بشريًا ، بعد لحظات حظر التجوال ، حتى تُطلق نحوه تلك الأشعة الأرجوانية ، فتسحقه سحقًا .

توترت عضلات وجه (نور) فى حنق واشمئزاز ، وهو يغمغم :

— ياللحقارة !!

تنهد (محمود) ، وقال :

— لقد سيطروا أيضًا على كل وسائل الإعلام ، وحظروا حيازة أية أجهزة لاسلكية ، أو هولوجرافية ، فيما عدا شاشات ضخمة ، يضعونها فى كل الميادين ، لتبث تحذيراتهم التى لاتنتهى ، وتهديداتهم وأوامرهم المستمرة .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .. إننى أستمع إليهم عَبْرَ شاشة راصد خاصة ، و ......

قطع عبارته صوت صارم ، عَبْرَ شاشة الراصد الخاصة ، يقول :

— استمعوا أيها الأرضيون .

التفت الجميع إلى شاشة الراصد الخاصة ، التى نقلت صورة (كوماد) ، وهو يقول فى صوت حازم مخيف ، ترجمته خوذته إلى العربية :

— أنتم تعلمون أننا نبحث منذ عام كامل عن ذلك الأرضى ، المعروف باسم الرائد (نور) ، ولقد أصابنا الملل من كثرة البحث .

ابتسمت (نشوى) ، وهى تقول :

— إنه يعترف بهزيمته .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :



عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ــ هذا الرجل هو (كوماد) يا (نشوى) ..

ــ هذا الرجل هو (كوماد) يا (نشوى) .. قائد جيوش الاحتلال ، وهو حازم صلب ، صارم قاس ، وأمثاله لا يعترفون بهزيمتهم أبدًا .

كان (كوماد) يستطرد فى تلك اللحظة :

ــ لذا فقد قررنا إجباره على الظهور والاستسلام .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صوت شديد الحزم والصرامة :

ــ سأمنحه مهلة حتى الفجر ، ليستسلم ، وبعدها سأعدم شخصين له فى العالم .

وارتسمت على الشاشة صورة رجل وامرأة ، شهق (نور) لمرآهما ، وهو يهتف فى جزع :

ــ ربَّاه !! أبى .. وأمّى !!.

كان صوت (كوماد) يردف فى صرامة :

ــ سيُعدمان عند الفجر تمامًا .. ولن يكونا آخر من يُعدم من أجله .

وامتلأ صوته بلكنة ساخرة ، وهو يستطرد :

ــ إنها البداية فحسب .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وصورته تتلاشى تدريجيًا ..
لقد أرغم (نور) على بدء الصراع ..
وعلى المقاومة ..

* * *

٣ ـ البداية ..

«والده ؟!..» ..

غمغم الإمبراطور (آغرو) بتلك الكلمة فى صوت خافت ، يجمع ما بين الدهشة والاستحسان والتساؤل ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، قبل أن يعود فيخفضهما مستطردًا :

ـ يا لها من فكرة !!

ارتسمت على شفتى (كوماد) ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ كان ينبغى أن نلجأ إلى هذا الحل منذ البداية يا سيِّدى ، ولكننا لم ننتبه إلى أن الأرضيين يختلفون عنّا كثيرًا ، فى اهتمامهم بوالديهم ، وبكبار السِّنّ ، فى حين نتخلَّص نحن منهم ، حتى لا يكونوا عبئًا على تقدُّمنا ، وشوكة فى ظهر حروبنا ، ولو أن هذا الرائد حىٌّ ، يختفى فى مكان ما هنا ، فهو لن يسمح بإعدام والديه حتمًا ، وسيظهر ، ويقاتل .

غمغم الإمبراطور :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل فوق عرشه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة إعجاب ، مستطردًا فى صوت قوى :

ـ أنت قائد عظيم يا (كوماد) .

اتسعت ابتسامة الثقة ، على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ـ فى خدمتك يا مولاى .

أشار إليه الإمبراطور ، قائلًا فى حماس :

ـ لو نجحت خطتك ، فستحصل على مكافأة ضخمة يا (كوماد) .

تألقت عينا (كوماد) الدمويتان ، وهو يقول فى ثقة :

ـ ستنجح يا مولاى .. ستنجح .

* * *

تقافزت أصابع (نشوى) فوق أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة كبيرة ، وهى تتابع ما يرتسم على الشاشة الفيروزية فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث اليأس أن ارتسم فى ملامحها ، وهى تتراجع فى مقعدها ، مغمغمة :

ـ خمسة فى الألف .

سألتها أمها :

— ماذا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، وهي تكرّر :

— خمسة فى الألف .. نسبة نجاحنا لاتتعدّى خمسة فى الألف ، طبقًا لحسابات الكمبيوتر .

التفتت (سلوى) إلى (نور) فى جَزَع ، فقال فى هدوء :

— هُرَاء .. الكمبيوتر لايمكنه تقدير المستقبل .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يملك هذا الأمر .

قال (محمود) فى توتّر :

— ولكنه يدرس الأمر من الناحية المنطقية البحتة يا (نور) ، ولقد غذّته (نشوى) بكل المعلومات ، عن قوّة هؤلاء الغزاة ، وقوّتنا ، وعددهم وعددنا ، و .....

قاطعه (نور) فى حزم :

— كلها معلومات غير كافية ، فما زال ينقصها الإصرار ، والثقة ، والشعور بالحق ، ثم إنها تفتقر إلى دراسة نفسية جيّدة .

اغْرَوْرَقَتْ عينا (نشوى) بالدموع ، وهي تغمغم فى صوت مختنق :

— ومن سيُجرى مثل هذه الدراسة ، بعد أن فقدنا (رمزى) ؟

قال (نور) فى حزم ، وكأنه يحاول انتزاعها من تلك الذكرى ، قبل أن تحتوى كيانها كالمعتاد :

— ليس المهم هو من سيُجريها ، وإنما المهم هو أنها غير موجودة .. ولقد بنى الكمبيوتر اللعين نتائجه ، على مفردات ماديّة بحتة ، ولست أقنع بمثل هذه النتائج .

قالت (سلوى) فى توتّر .

— ولكنه على حقّ بعض الشيء يا (نور) ، فنحن أربعة فحسب ، ولن يمكننا التصدّى لجيش من الغزاة ، خاصّة ونحن نجهل حتى أين سيتم حكم الإعدام ، الذى يهدّدك به (كوماد) .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— الأمر ليس شديد الصعوبة ياعزيزتى .. إن (كوماد) — مثل إمبراطوره — ما زال يشك فى أمر بقائى حيًا ، ولقد صنع ما صنع ، فى محاولة لدفعى إلى إعلان وجودى ، وهو لهذا سيختار موقعًا واضحًا لتنفيذ حكمه القذر ، حتى يمكنه إغرائى بالتدخّل ، ومحاولة إنقاذ والدىّ ، وفى الوقت نفسه ، يكون الموقع مؤمّنًا ، محاطًا بجنوده ، حتى يمكنه الإطباق علىّ فى لحظة تدخلى ، وأعتقد أن هذه الصفات تنطبق بشكل جيّد على ميدان التحرير .

تردّد (محمود) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ــ ربّما .

أجابه (نور) :

ــ سأخاطر بافتراض أنه كذلك يا (محمود) .. سأخاطر بحياتى ، وبحياة والدىّ ، وليكن اسم الميدان تميمة ، ونبوءة لنجاحنا ، وبدء معركتنا الحقّة .. معركة التحرير ..

هتفت (نشوى) :

ــ ولكننا نعلم جميعًا أنه فخّ ، فلماذا تذهب إليه بقدميك ؟

عادت تلك الابتسامة الشاحبة إلى شفتيه ، وهو يقول :

ــ لأننا لم ننتظر ، ونعمل طيلة عام كامل ، إلا لنبدأ مرحلة المقاومة ، وما دامت اللحظة قد حانت ، فالخِيَرة فيما اختاره الله (سبحانه وتعالى) .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى صوت حازم قوىّ :

ــ فلنبدأ المعركة ..

* * *

العاشرة ..

موعد حظر التجوال ..

خلت الشوارع من المارّة ، وساد فيها الصمت والسكون ،

إلا من دوريّة من دوريّات الغزاة ، تتكوّن من أربعة أفراد ، يركبون حوّامة مستديرة ، تعبُر الطرقات فى صمت ، فوق وسادة هوائية ، وعيونهم الدموية تدور فى كل الاتجاهات ، وأصابعهم الخضراء المعروفة تتحفّز فوق أزندة بنادقهم المخيفة ، التى تُطلق تلك الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

كان كل شىء يسير على الوتيرة نفسها ، منذ عام كامل ..

وكان الغزاة الأربعة يشعرون بثقة لا حدود لها ..

وفجأة ، هتف أحدهم بلغته ، وهو يشير إلى أحد الأركان :

ــ انظروا .. هناك .

التفتت عيون الجميع إلى حيث يشير ، وانعقدت حواجبهم الزرقاء الكثّة ، وهم يتطلّعون إلى أحد بنى قومهم ، ببشرته الخضراء ، وحُلّته الزرقاء اللامعة ، وقد سقط أرضًا ، وبدا فاقد الوعى ..

وهتف قائد المجموعة :

ــ توقّفوا .

توقف القرص الطائر على الفور ، على مقربة من الغازى الفاقد الوعى ، وقفز من فوقه الغزاة الأربعة ، وتركوه معلّقًا

فى الهواء ، وهم يقتربون من زميلهم فى حذر ، وبنادقهم متحفزة للإطلاق ، وقال أحدهم :

— ماذا أصابه ؟ وكيف أتى إلى هنا ؟.. المفروض أن القانون يحظر تواجده أيضًا ، فى غير منطقة عمله !!

أجابه الثانى فى توتر :

— فلنؤجل إجابة هذه الأسئلة لما بعد .. المهم أن نحمله معنا الآن ، قبل أن تنطلق عيون الحراسة ، فبرنامجها يؤكد أننا أربعة فحسب ، وأى شخص زائد ، سيجعلها تطلق أشعتها علينا على الفور .

قال الثالث :

— أنت على حق .. هيا نحمله .

انحنى يمسك بالغازى الفاقد الوعى ، ولكنه لم يكد يلمس جسده ، حتى اعتدل الغازى بغتة ، وبدا وكأن نشاط الدنيا كلها قد دبّ فى جسده ، وهو يقول فى لهجة أرضية بحتة :

— مفاجأة !!

وانطلقت أشعة مسدسه الليزرى بغتة ، لتقتل غازيين ..

وتراجع الغازيان الباقيان ، وهما يهتفان ، وقد شهرا بندقيتيهما :

— خيانة !! إنه أرضىّ .

ولكن أولهما لم يطلق أشعته الأرجوانية ، فقد أصابته طلقة من أشعة الليزر ، فى حين أطلق الثانى أشعته ، ولكن خصمه تفاداها فى مهارة مذهلة ، وانحنى فى رشاقة ، ثم دار على عقبيه ، وقفز فى الهواء ، وركل وجه الغازى فى قوة ألقته أرضًا ، ثم هبط إلى جواره ، وحطم أنفه بلكمتين تفجرتا فى صوت مكتوم ، كقنبلتى دخان ..

وفقد الغازى وعيه ، وسالت دماؤه الخضراء من أنفه ، وابتسم ذلك الذى بدا فاقد الوعى فى البداية ، وهو يقول فى توتر :

— ستدخلون التاريخ حتمًا أيها الأوغاد .. فأنتم أول من دفع الثمن .

ثم انتزع قناعه الأخضر ، فبدا من تحته وجهه واضحًا .. وجه الرائد (نور) ..

وفى صرامة ، هتف :

— هيا يا رفاق .. سنبدأ العمل .

برز (محمود) و (سلوى) و (نشوى) من المبنى المجاور ، فى سرعة وخفة ، وتعاونوا مع (نور) على جذب الغزاة إلى الداخل ، بعيدًا عن الأعين ، و (نور) يتمتم فى عصبية :

— كم أكره الحروب !.. لقد قتلت ثلاثة أرواح فى أقل من نصف الدقيقة .

ربّت (محمود) على كتفه ، مغمغمًا :

— كان ذلك حتميًّا .

أومأ (نور) برأسه ، متمتمًا :

— نعم .. أعلم ذلك .

ثم أشار إلى (نشوى) ، وحاول أن يبتسم ، مستطردًا :

— كان تنكّرًا رائعًا يا (نشوى) .. كمبيوتر المحاكاة هذا رائع حقًّا ..

لقد خدعت هيئتى هؤلاء الأوغاد ، ولكننى أجد بعض الصعوبة فى الحركة ، وخاصةً مع الخطوات القتالية ، مع ذلك الطول الإضافىّ .

قالت فى حماس :

— سأحاول مراعاة ذلك فيما بعد ، فمن المحتّم أن نحاكى طول هؤلاء الغزاة ، وإلا فشل تنكّرنا ، فأقصرهم يناهز المترين طولًا .

أومأ برأسه مرّة أخرى ، متمتمًا :

— هذا صحيح .

ثم استعاد حزمه القيادىّ ، وهو يتطلع إلى ساعته ، قائلًا :

— والآن فليتحرّك كل منّا فى سرعة .. وكل منكم يعلم دوره جيّدًا .. المهم أن تعكس (سلوى) برنامج تلك الخوذات بأسرع وقت ممكن ، أمّا (محمود) ، فعليه أن ينتزع خزانة إحدى البنادق ، ويحتفظ بها ، لنعمل على دراسة تلك الأشعة الأرجوانية ومكوّناتها ، إذا ما قدّر لنا أن نعود من مهمّتنا أحياء ، ولتعمل (نشوى) على إعداد الأزياء التنكّرية اللازمة .. هيّا .. فالوقت يمضى فى سرعة مخيفة ، ولم يتبقّ لنا سوى بضع ساعات قبل الفجر ..

قالت (سلوى) فى حماس ، وهى تلتقط إحدى الخوذات الشفّافة ، من فوق رأس أحد الغزاة :

— سأبذل أقصى جهدى ..

وراحت (نشوى) تُعِدّ الأزياء فى سرعة ، فى حين نهض (محمود) ، قائلًا :

— سأحضر إحدى بنادق الأشعة الأرجوانية من الخارج .

تمتم (نور) فى توتّر :

— أسرع .

أسرع (محمود) الخطا ، وانحنى يلتقط إحدى البنادق ، وهو يغمغم فى توتّر مماثل :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) ، أن نجد الفرصة لفحصها ، وأن ......

بتر عبارته بغتة ، عندما تناهى إلى مسامعه أزيز مخيف ، فاعتدل واقفًا فى حدة ، ورفع عينيه إلى مصدر الأزيز ، ثم تجمّد فى مكانه فى رُعب هائل ..

كانت إحدى عيون الحراسة ، وقد التقطت صورته ، واندفعت نحوه ، ومن داخلها ينبعث صوت معدنى مخيف يقول :

ـ لقد خالفت قوانين حظر التجوال أيها الأرضىّ .. وستموت .

وانطلقت من ثقب دقيق فى مقدمتها ، تلك الأشعة الأرجوانية القاتلة ..

انطلقت نحو (محمود) ..

* * *



فاعتدل واقفًا فى حِدّة ، ورفع عينيه إلى مصدر الأزيز ، ثم تجمّد فى مكانه فى رُعب هائل ..

٤ ـ اللُّعبة ..

انهمرت الدموع غزيرة من عينى والدة (نور) ، داخل ذلك السجن الصغير ، الذى وضعها فيه الغزاة ، وهى تقول فى مرارة :

ـ سيعدموننا يا (محمود) .. سيعدموننا بلا جَريرة .

ضمّها زوجها إلى صدره ، وهو يقول فى حنان :

ـ جريرتنا هى أننا والدا (نور) يا عزيزتى .. والدا الأرضىّ الوحيد ، الذى ترتجف له قلوب هؤلاء الغزاة القساة ، منذ عام كامل .

واصلت بكاءها ، وهى تقول :

ـ سأدفع حياتى ثمنًا لولدى ، وأنا أجهل ما إذا كان حيًّا أو ميتًا .

أجابها زوجها فى حزم :

ـ إنه حىٌّ يا زوجتى العزيزة .. حىّ .

توقَّفت دموعها ، وجفَّت فجأة ، وهى تسأله فى لهفة :

ـ كيف علمت ؟

أجابها فى حنان :

ـ قلبى يحدِّثنى بذلك .

قالت فى خفوت ، وبصوت متهدِّج :

ـ وأنا أيضًا .. إننى أشعر بنبض قلبه بين ضلوعى ، وبأنفاسه فى صدرى ، ولست أصدِّق أبدًا أنه قد مات .

ثم اعتدلت مستطردة فى لوعة :

ـ أتظننى أبكى نفسى ؟.. أبكى حياتى ؟.. كلَّا .. إننى مثلك ، أفضِّل الموت ، على الحياة فى عالم محتل ، ولو كانت حياتى هى شهادة بقاء ابنى الوحيد ، فسأدفعها عن طيب خاطر .

وعادت الدموع تترقرق فى عينيها ، وهى تردف فى مرارة :

ـ إننى أبكى من أجله .

تنهَّد زوجها ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا .

واصلت وكأنها لم تسمع تعليقه المقتضب :

ـ إننى أعلم أنه لن يتركنا هكذا .. سيخاطر بكل شىء من أجلنا .. سيظهر ، ويُعلن عن وجوده ، ويسعى لإنقاذنا .. وهذا ما أخشاه .

عاد يتمم ، وقد سرَى التوتُّر فى صوته :
ـــ وأنا أيضًا .
تابعت حديثها ، والدموع تسيل مرَّة أخرى على وجنتيها :
ـــ ليته يتخلَّى عنَّا .. ليته يتركنا لمصيرنا .. إنه لا يدرى أن الموت أفضل لنا من رؤيته يقضى من أجلنا .. ليته يدرك ذلك .
هزَّ رأسه ، وهو يتنهَّد ، قائلًا فى حزن :
ـــ لو فعل ، فلن يكون هو (نور) الذى نعرفه .. إنه سيسعى لإنقاذنا حتمًا ، مهما كانت الظروف .
ضمَّت قبضتيها أمام وجهها ، وهتفت ، وهى تبتهل إلى الله (سبحانه وتعالى) :
ـــ ليته لا يفعل .. ليته ..

* * *

تطايرت حرملة (كوماد) الحمراء خلف ظهره ، وهو يقف داخل منصَّته المرتفعة ، يراقب تحرُّكات رجاله ، منتصب القامة ، بادى الحزم ، حتى اقترب منه أحد الرجال ، يقول :
ـــ لقد اتخذ الجميع مواقعهم أيها القائد .
سأله (كوماد) فى صرامة :
ـــ هل تمت محاصرة المكان كله ؟

أجابه الرجل فى حزم :
ـــ كله يا سيِّدى .
تمتم (كوماد) فى ارتياح :
ـــ عظيم .
وصمت لحظة ، دارت عيناه خلالها فى المكان ، قبل أن يستعيد صرامته ، وهو يقول :
ـــ فليعلم الجميع أن عليهم ألا يكشفوا مواقعهم ، وأن ينتظروا الهجوم على أى نحو كان ، وعندما يبدأ الهجوم ، لا تنتظروا أوامرى ، قاتلوا على الفور ، فالثانية الواحدة قد تصنع فارقًا .
أجابه الرجل فى حزم :
ـــ كما تأمر يا سيِّدى .
ثم ضم قبضته ، ورفعها عاليًا ، مستطردًا فى قوَّة :
ـــ المجد للإمبراطور العظيم .
ارتسمت على شفتى (كوماد) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :
ـــ المجد لـ (جلوريال) .
ثم لوَّح بذراعه ، مستطردًا فى حزم :

— الذهب .. وقرّر رجال الإعلام بنقل المشهد إلى الجميع ، عبْر شاشاتنا .

غادر الرجل المنصّة فى سرعة ، فى حين عاد (كوماد) يتأمّل ماحوله ، مستطردًا فى ارتياح :

— اليوم ستبدأ المواجهة أيها الرائد (نور) .. واليوم ستفقد الأرض آخر زعمائها .. وآمالها .

وأطلق ضحكة ساخرة قويّة ..

ضحكة مقاتل من (جلوريال) ..

* * *

كانت الأشعة الأرجوانية الساحقة تنطلق نحو صدر (محمود) تمامًا ..

أو هكذا تصوّر هو ..

ثم خيّل إليه أنها قد انحرفت بغتة ..

أو أن جسده هو قد اندفع جانبًا ..

وقبل أن يدرك أى الحدثين أقرب إلى الصواب ، تهاوَى جدار مجاور له ، عندما أصابته الأشعة الساحقة ، وانفجرت عين الحراسة ..

كل هذا فى لحظة واحدة ..

وفى اللحظة التالية ، شعر بيد قويّة تدفعه إلى النهوض من سقطته ..

لم يكن قد انتبه حتى إلى أنه قد سقط ..

وهنا أدرك حقيقة الموقف بغتة ..

لقد وجد أمامه (نور) ، يجذبه إلى الداخل ، هاتفًا :

— أسرع .. لقد بدأت دوريّات عيون الحراسة .

تطلّع مشدوهًا إلى (نور) ، ورأى مسدسه الليزرى فى يده ، فأدرك حقيقة الموقف ، وهتف مبهورًا :

— (نور) !!.. أنت أنقذتنى .. أليس كذلك ؟

تمتم (نور) فى صرامة :

— بل أنا كدت أقتلك ، عندما تركتك تذهب لإحضار البندقية ، دون أن أنتبه إلى أن موعد دوريّات عيون الحراسة قد حان .

هتفت (نشوى) :

— ولكن هذا لا يمنع أنه قد أنقذك يا (محمود) ، لقد سمعنا جميعًا صوت تلك العين اللعينة ، وهى تؤكّد كشفها لك ، وحتميّة قتلك ، إلّا أن أبى وحده انتزع نفسه من مكانه بغتة ، حتى لقد خيّل إلينا — أمى وأنا — أنه قد اختفى ، حتى رأيناه

يندفع إلى الخارج كالصاروخ ، وينتزع مسدسه الليزرى ، ويدفعك جانبًا ، ثم يتفادى الأشعة الأرجوانية ، فيما يشبه المعجزة ، ويطلق أشعته على تلك العين اللعينة ، و .....

قاطعها (نور) فى حزم :

ـــ كفى .

ثم أضاف فى صرامة :

ـــ لسنا هنا بصدد التباهى والتفاخر .. الوقت لن يكفى لذلك .

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وهى تقول :

ـــ أنت رائع يا زوجى العزيز .

التفت إليها فى صرامة ، فأضافت :

ـــ ولكنك عنيد .

ثم عادت تولى اهتمامها شطر الخوذة الشفافة بين يديها ، مستطردة :

ـــ إننى أحتاج إلى ثلاث ساعات فحسب ، لأعكس عمل هذه الخوذات ، بحيث تترجم لغة هؤلاء الغزاة إلى لغتنا ، وليس العكس .

وقالت (نشوى) :

ـــ وأنا أدرس جسد ذلك الغازى ، الذى بقىَ على قيد الحياة ، وأبرمج كل ما أحصل عليه من معلومات ، داخل الكمبيوتر ، لنضمن تنكرًا بالغ الجودة ، يصلح لمواجهة عيون الحراسة ، وتنفيذ الخطة على أكمل وجه ، وسيحتاج ذلك إلى ساعتين على الأرجح .

التفت (نور) إلى (محمود) ، قائلًا :

ـــ وماذا عنك ؟

هزّ (محمود) كتفيه ، وتنهّد فى عمق ، وهو يقول :

ـــ الأمر بالنسبة لى يختلف ، فلن يمكننى دراسة تلك الأشعة هنا .

أومأ (نور) برأسه ، مغمغمًا :

ـــ لا بأس .. إننا لن نحصل على كل شىء فى لعبة واحدة .. المهم أن تفلح خطتنا هذه ، لبدء نشاطنا ، وإنقاذ والدىَّ ..

ورفع رأسه فى حزم ، مستطردًا :

ـــ ولنعلن هؤلاء الغزاة أن الأرض لم تستسلم بعد لاحتلالهم البغيض ، وأنها ستقاوم .. ستقاوم حتى آخر رمق ..

* * *

عقدت (مشيرة محفوظ) ، صحفيّة أبناء الفيديو السابقة ، حاجبيها فى حنق ، وهى تقول فى حِدّة :

ـــ ماذا تعنى أيها اللّعين ؟!.. لماذا يطلب قائدكم الحقير هذا رؤيتى ؟ زمجر ذلك الغازى ، الذى يقف فى مواجهتها ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ كفى أيتها الأرضية .. أنت تعلمين أنك قد تفوّهت بما يكفى لإعدامك ، ولولا أن القائد (كوماد) يطلب مقابلتك بالذات ، لقتلتك على الفور .

صاحت فى غضب :

ـــ وما الذى تظنّنى سأخسره ، لو أنك قتلتنى ؟.. لقد خسرت كل شىء بالفعل ، وبسببكم .. لقد كنت صحفية ومذيعة ناجحة ، ولقد حصلت قبل قُدومكم على منصب رئيس تحرير الصحيفة كلها ، وكبيرة المذيعات ، وكنت أُعِدّ نفسى لتولّى منصب وزير الإعلام ، لولا احتلالكم للأرض ، وإلغاؤكم كل وسائل الإعلام .. أتعلم مِمَّ أعيش منذ عام كامل ؟.. مِنْ معاش بالغ الضآلة ، أحصل عليه من مكتب البطالة أيها الأوغاد .

جذبها الغازى من شعرها بغتة فى عُنف ، وهو يقول فى صرامة :



جذبها الغازى من شعرها بغتة فى عُنف ، وهو يقول فى صرامة :
ـــ كفى يا امرأة ..

— كفى يا امرأة .

صرخت وهو يجذبها فى قسوة ، ويلقى بها داخل حوّامته المستديرة ، هاتفًا :

— إننا لا نستأذنك الموافقة على مقابلة القائد .. إننا نأمرك بذلك .

ثم قفز داخل الحوّامة ، مستطردًا فى صرامة :

— وستطيعين الأمر ، رغمًا عن أنفك ، كما يفعل كل أرضى على سطح هذا الكوكب .. كلهم .

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته فى توتّر ، وهو يقول :

— ما الذى توصّلتم إليه ؟.. لم يَعُد أمامنا سوى ثلاث ساعات ، قبيل الفجر .

أجابته (نشوى):

— أنا انتهيت من عملى تقريبًا .. لقد استغرق الأمر أكثر مما كنت أتوقّع بكثير ، فهؤلاء الغزاة يختلفون عنّا كثيرًا .. فحرارة أجسادهم أدنى من حرارة أجسادنا بدرجتين كاملتين ، على الرغم من أن معدّلاتهم الحيوية تسير بضعف سرعة معدّلاتنا .

أجابها فى اهتمام :

— هذه نقطة بالغة الأهمية ، فقد تكون وسيلة عيون الحراسة فى تحديد هُويّتهم ، هى قياس درجة حرارة أجسادهم ، وهذا يَعْنِى أنه من المحتّم أن تقل درجة حرارة الأزياء التنكّرية ، التى سنرتديها لنبدو أشبه بهم ، بمقدار هاتين الدرجتين .

قالت فى حماس :

— هذا بسيط .. لقد زوّدت الأردية التنكّرية — لحسن الحظ — بمقياس حرارىّ متغيّر ، عندما وضع الكمبيوتر احتمال اختلاف درجات الحرارة .

سألها (نور) فى اهتمام :

— وماذا عن دمهم الأخضر اللون ؟

أجابته فى سرعة :

— هذا يعود إلى أن دماءهم لا تحوى مادة (الهيموجلوبين)، التى تمنح دمنا ذلك اللون الأحمر .. إنها تحوى مادة بديلة ، ذات تكوين مختلف ، تحتاج إلى طبيب متخصّص لدراستها .

تنهد فى عمق ، وهو يغمغم فى أسف :

— مثل الدكتور (محمد حجازى) ..

وشرّد ببصره ، مستطردًا فى مرارة :

— ترى أين هو الآن ؟

تمتمت (نشوى) فى ألم :

— وأين (رمزى) ؟

أسرعت (سلوى) تقول :

— دعينا من هذا .. لقد شارف عمل على الانتهاء تقريبًا ، ولقد أبدلت بالفعل برنامج ثلاث خوذات ، وبقيت خوذة واحدة ، وبعدها سنكون أوّل بشر على وجه الأرض ، يمكنهم فهم لغة الغزاة .

تمتم (نور) ، وهو يبتسم نفس تلك الابتسامة الشاحبة ، التى لم يمكنه أداء ما هو أفضل منها ، طيلة العام السابق :

— هذا عظيم .

ثم أضاف فى توتر :

— ولكننا لو لم نسرع بالهجوم ، فسيصبح كل ذلك بلا فائدة .

ابتسمت (سلوى) فى إشفاق ، وهى تقول :

— اطمئن .. سينتهى كل شىء فى موعده .

وفجأة ، هتفت (نشوى) :

— أبى !

التفت إليها الجميع فى جزع ، وهتف (نور) فى عصبيّة :

— ماذا هناك ؟!

صاحت فى ذُعْر :

— ذلك الغازى الأخير .. إنه .....

قبل أن تتمّ عبارتها ، هبَّ الغازى واقفًا بغتة ، وبدا كالعملاق ، بطوله الذى يزيد على المترين ، وهو يُطلق صرخة مخيفة ، وينقضّ على (نور) ..

وصرخت (سلوى) و (نشوى) فى رُعْب ، وتجمدت الدماء فى عروق (محمود) ، وقد رأى الجميع الغازى يحيط عنق (نور) بقبضتيه ، ويرفعه عاليًا .

لقد كان يقتله ..



٥ ــ الإعــلام ..

وقف (كوماد) منتصب القامة ، عاقدًا كفَّيه خلف ظهره ، يتطلَّع فى برود إلى (مشيرة محفوظ) ، التى بدت أمامه أشبه بقزم ، مع قامتها الضئيلة ، التى انكمشت مع خوفها وانفعالها ، وهى تقول فى عصبيَّة ، تحاول بها مداراة رُعبها :

ــ حسنًا يا قائد المحتلين .. هأنذا أمامك .. ماذا تريد منِّى ؟

ابتسم (كوماد) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ بل قولى : بِمَ تأمرنى أيَّتها الأرضية ؟

تطلَّعت إليه فى غضب ، دون أن تنبس ببنت شَفَة ، فراح يدرس ملامحها فى إمعان ، قبل أن يبتسم مرَّة أخرى فى سُخرية ، قائلًا :

ــ أخائفة أنت ؟

قالت فى عناد :

ــ كلَّا ..

ولكن تلك اللهجة المرتجفة ، التى نطقت بها الكلمة ، جعلتها أشبه باعتراف صريح بالخوف والتوتُّر ، ممَّا اتسعت له ابتسامة (كوماد) ، وازدادت سُخريةً ، وهو يقول :

ــ هذا واضح .

ثم التقط مكعبًا صغيرًا شفافًا ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ هذا المكعب يحوى كل المعلومات عنك .

تمتمت فى عصبيَّة :

ــ هكذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ المعلومات التى داخله ، تؤكِّد أنك كنت ، منذ عام واحد ، أفضل الإعلاميين ، فى الكوكب كله .

قالت فى حَنَق :

ــ أمِنَ المفروض أن يسعدنى ذلك ؟

أجابها فى حزم ، بعث رجفة قوية فى أوصالها :

ــ بلا شك .

تطلَّعت إليه فى خوف ، دون أن تنبس ببنت شفَة ، فأضاف وهو يتفحَّص ملامحها :

ــ خاصةً عندما أخبرك أنك ستستعيدين تلك المكانة ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

تطلّعت إليه في دهشة وحَيْرة ، قبل أن تغمغم في حَذَر :

ـــ ماذا تعْني ؟

أجابها في هدوء :

ـــ أعْني أنك ستحصلين ، منذ هذه اللحظة ، على أكبر منصب إعلاميّ ، في كوكبك كله ، ستصبحين المتحدّثة الرسميّة باسمنا .

تمتمت في دهشة :

ـــ باسمكم ؟!

صاح في قوّة ، وهو يضرب قبضته في فخذه :

ـــ نعم .. باسمنا نحن ، سادة الكون .

ران الصمت لحظات ، وهي تتطلّع إليه في دهشة وحَيْرة ، قبل أن تقول :

ـــ لماذا ؟

ابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

ـــ ربّما لأنني أختلف مع الإمبراطور ، في سياسته الخاصّة بالإعلام .

تمتمت مرّة أخرى في دهشة ، وكأنها تعجز عن استيعاب الأمر كله :

ـــ تختلف معه ؟!

قال في حزم :

ـــ نعم .. إنه يؤمن بأن نسيطر نحن وحدنا على وسائل الإعلام ، في حين أرى أنا أنه من الأفضل أن يكون الإعلاميون من قومكم .

قالت في جِدّة :

ـــ على أن يتحدّثوا بلسانكم أنتم .. أليس كذلك ؟

كانت تتوقّع منه بعض المراوغة ، إلا أنه أجاب في حزم مباشر :

ـــ بل .. إنك تحسنين الفهم .

قالت محنَقة :

ـــ ولكنه أسلوب حقير .

ابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

ـــ لا بأس ببعض الحقارة ، ما دام ذلك يحقق نصرًا .. ألم يكن هذا هو مبدأ العشرات منكم قديمًا ، يا رجال الإعلام ؟!..

تمتمت في عصبية :

ـــ ربّما .. ولكن .....

قاطعها في حزم وصرامة :

— ستنقلين بعد ساعات لحظة إعدام رجل وامرأة .

قالت محتدة :

— أتقصد والدى الرائد (نور) ؟

رمقها بنظرة ارتجفت لها أحشاؤها ، قبل أن يقول :

— من الواضح أن الروح الإعلامية لم تفارقك بعد .. نعم .. إننى أقصدهما .

صاحت فى مرارة :

— ومن قال لك إننى سأوافق على نقل تلك اللحظات الحقيرة ؟

قال فى برود :

— ستفعلين ؛ لأن ذلك سيمنحك وظيفة مرموقة ومضمونة ، وعددًا من أفضل الامتيازات ، التى لم يعد الأرضيون يحصلون عليها ، ومرتبًا ضخمًا ، وسيارة فارهة ، و .....

قاطعته فى حدة :

— وماذا لو رفضت ؟

قال فى سخرية :

— لست أظن أرضيًا يرفض عرضًا أقدمه .

هتفت فى عصبية :

— وماذا لو فعلت أنا ؟

تطلع إليها فى برود ، وهو يقول :

— فى هذه الحالة ستحصلين على شىء واحد .

وتحول صوته إلى كتلة من الصرامة والقسوة ، وهو يستطرد :

— حكم بالإعدام .. الإعدام الفورى .

* * *

كانت المفاجأة مذهلة حقًا ..

لقد استعاد الغازى وعيه بغتة ، وعلى نحو غير متوقع أبدًا ، وبسرعة مذهلة ، حتى أنه قد تحول من حالة السكون إلى النشاط الجم دفعة واحدة ..

ولقد فوجئ به (نور) ينقض عليه ، ويعتصر عنقه بقبضتيه ، ويرفعه عاليًا ..

ولكن (نور) لم يفقد أعصابه ، ولا سيطرته على تفكيره ..

وما كان لأحد أفراد المخابرات العلمية أن يفعل ..

لقد تحرك على الفور ، ودون أن يضيع لحظة واحدة من المفاجأة ، ودفع قدمه إلى الأمام ، وهو يثنى ركبته فى مرونة شديدة .



وفجأة ، وجدت يده طريقها إلى سلاح رهيب ..
إلى بندقية ، من بندقيات الأشعة الأرجوانية ..

وارتطمت قدمه بوجه الغازى كالقنبلة ..

وأطلق المخلوق الأخضر زمجرة مخيفة ، وراح يصرخ على نحو هستيرى ، ولكن قبضة (نور) أوقفت ذلك الصراخ بلكمة ساحقة ..

وأفلت عُنق (نور) من الغازى ..

أفلت منه مرغمًا ، وهو يحاول التشبُّث بأى شىء ، بعد أن دارت به الأرض ..

لم تكن الضربات وحدها تؤلمه ..

كان يؤلمه ويذهله أيضًا ، أن أرضيًا قد جرؤ على التصدِّى له ..

وكان هذا وحده يصيبه بالدُّوار ..

ولقد حاول أن ينهض ، وأن يواصل القتال ، إلا أن ضربة أخرى من قدم (نور) فى صدره ، عادت تلقيه أرضًا ..

وهنا انتابه غضب هائل ..

كيف يهزمه أرضىّ ضئيل ، لم يبلغ حتى المترين طولًا ؟ ..

كيف يُوقع به ؟..

وفجأة ، وجدت يده طريقها إلى سلاح رهيب ..

إلى بندقية ، من بندقيات الأشعة الأرجوانية ..

وفى لمح البصر ، كان يلتقطها ، ويصوّبها إلى (نور) ، وصرخ بلغته غير المعروفة :

ــ مُتْ أيها الأرضىّ .. مُتْ .

وضغط زناد البندقية ..

* * *

ظلّ جسد (مشيرة) يرتجف طويلاً ، وهى تحدّق فى عينى (كوماد) فى رُعب ..

إنها لم تعتد أبدًا ، وعلى الرغم من مرور عام كامل ، تلك العيون الدموية المخيفة ، التى تبدو كقطعة واحدة من الدم المتجمّد ، بلا قرنية ..

بلا حدود ..

بلا ملامح ..

كانت تعلم أنه ينتظر جوابها ..

وأنه واثق منه مقدمًا ..

ولقد تمنّت أن ترفض ..

ولكنها لم تجرؤ ..

كانت أجبن من أن تفعل ..

ولها عذرها ..

إنها امرأة ..

إذا كان الرجال يرتجفون رُعبًا وخوفًا ، فما الذى ننتظره منها ..

إنها مقهورة ..

مثلها مثل كل أرضىّ ، على سطح الكوكب المحتل المسكين ..

وفى مذلّة ، خفضت وجهها وعينيها ، وغمغمت فى مرارة :

ــ حسنًا .. إننى أقبل .

ابتسم فى ثقة وسُخرية ، وهو يقول :

ــ كنت أعلم ذلك .

ثم عاد يعقد كفّيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ــ سأقيم الليلة على عمل عراق .. سآمر بإلغاء حظر التجوال لليلة واحدة ، ليخرج الجميع إلى الساحات والميادين ، ويشاهدون لحظة الإعدام ، عَبْر شاشاتنا الخاصة .

ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ــ أريدها لحظة تاريخية .

قالت فى مرارة :

— فى تاريخنا أم تاريخكم ؟

قال فى صرامة :

— لم يَعُد لكم تاريخ .

زفرت فى حِدّة ، وهى تقول :

— مَنْ يدرى ؟

صاح فى صرامة :

— أنا .

ثم أضاف فى حزم :

— لقد انتهى تاريخكم ، منذ هبطت قواتنا إلى كوكبكم .. لقد أصبحتم مجرّد تابع لـ (جلوريال) .

قالت فى حِدّة :

— وماذا عن المستقبل ؟

ابتسم فى سُخرية ، قائلاً :

— لم يَعُد لكم مستقبل أيضًا .

ثم أردف فى صرامة :

— الليلة سنقضى على آخر أمل لكم فى المستقبل .. على الرائد (نور) .

* * *

ضغط الغازى على زناد بندقية الأشعة الأرجوانية ، وهو يصوّب فُوّهتها إلى صدر (نور) مباشرةً ..

ولكن الأشعة الأرجوانية الساحقة لم تنطلق ..

وفى هذه المرّة ، كانت المفاجأة من نصيب الغازى ..

لقد راح يحدّق فى وجه (نور) ، وينقل بصره إلى فُوّهة بندقيته فى ذُهول ، قبل أن يفتح (محمود) راحته ، عن كُرة شفّافة ، قائلاً :

— لقد انتزعت خزانة الطاقة الخاصة بها .

أطلق الغازى صرخة غضب هائلة ، على الرغم من أنه لم يفهم حرفًا واحدًا من حديث (محمود) ، بعد أن خسر خوذته ، ولكن مَرْأىً خزانة الطاقة ، فى راحة هذا الأخير ، أصابه بالجنون ، فقفز نحو (نور) ، صارخًا بلغته :

— ستموت أيها الأرضىّ .. سأقتلك بيدىّ العاريتين .

وهنا صرخت (سلوى) :

— مسدسك يا (نور) .

ومع قفزة الغازى ، استلّ (نور) مسدسه الليزرى ، و .....

وأطلق أشعته ..

واخترقت أشعة الليزر جمجمة الغازى ..
وانطلقت من حلقه حشرجة مخيفة ..
وسقط فوق (نور) ..
سقط جثة هامدة ..

ودفع (نور) الجثة بعيدًا ، وهو يقول فى سُخط :
ــ القتل !! دائمًا القتل !!

ابتسم (محمود) فى ارتياح ، وهو يمدّ يده إليه ؛ ليعاونه على النهوض ، قائلًا :
ــ ينبغى أن تعتاده يا (نور) .. ستصادف أطنانًا منه فى رحلة المقاومة .

ابتسم (نور) ابتسامته الشاحبة ، وهو ينهض مغمغمًا :
ــ هذا لو استغرقت الرحلة الوقت الكافى لذلك .

تمتمت (سلوى) فى اضطراب :
ــ لا أحد يدرى .

ثم أضافت فى صوت مرتجف :
ــ هذا يتوقّف على ما سنحصده الليلة .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع صوت (كوماد) الصارم ، عَبْرَ كل أجهزة البثّ ، التى نشرها المحتلّون فى كل مكان ، لإلقاء أوامرهم القاسية ، وهو يقول :

ــ فليستمع الجميع .. لقد أُلغِىَ حظر التجوال الليلة ، بصفة استثنائية ، على أن يتوجّه الجميع عند الفجر إلى الميادين العامة ، لمتابعة لحظة إعدام والدِ الرائد (نور) ، على الهواء مباشرة .

تمتم (نور) فى سُخرية مريرة :
ــ يا له من استثناء !!

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا :
ــ يبدو أننا سنلهو كثيرًا هذه المرّة يا رفاق .. كثيرًا جدًا ..

وعلى الرغم من لهجته الساخرة ، ترقرقت فى عينه دمعة .. دمعة حزن ..

* * *



٦ ـ الهجوم ..

دقائق قبل الفجر ..

احتشد الجميع فى الميادين ، بناءً على أوامر (كوماد) ، وتحت الحراسة المسلحة والمشدَّدة لرجاله الغزاة لمشاهدة مراسم إعدام والدَىْ (نور) ...

الوالدان المسكينان داخل قفص من المجالات الكهرومغناطيسية ، فوق منصّة خاصة ، ينتظران لحظة إعدامها ..

عشرات الحوّامات ، الخاصّة بجنود (كوماد) ، أتت من كل صَوْب ، لتحيط بالمنصّة ، وتؤمّن الحماية الكاملة لمراسم الإعدام ..

وفى مرارة ، ظهرت صورة (مشيرة) على كل الشاشات ، وهى تقول فى صوت متوتّر :

ــ سيداتى آنساتى سادتى .. هذا هو العرض الأوّل ، لشبكة الإذاعة الأرضية العالمية الجديدة ، يتم بثه فى كل أنحاء

العالم ، وبكل اللغات الأرضية المعروفة ، وتقدمه لكم (مشيرة محفوظ) ..

صمتت لحظات ، وكأنما تسعى عبثًا ، لازدراد مرارتها ، قبل أن تستطرد فى صوت أجشّ متوتّر :

ــ سترون فى عرضنا الأوّل ، مراسم إعدام والدى الرائد (نور) ، الذى كان يعمل فى المخابرات العلمية المصرية ، ولا أحد يعلم مصيره الآن .

رانَ الصمت لحظة أخرى ، ثم أضافت :

ــ ننتقل الآن لمشاهدة المراسم .

اختفت صورتها من الشاشة ، وظهرت عليها صورة والدَىْ (نور) ، وهما يقفان فى ثبات ، والوالد يحيط كتف زوجته بذراعه ، ويربّت عليه فى إشفاق ، وكأنما يسعى لبثّ الشجاعة والطمأنينة فى نفسها ، قبل أن يشاركها مصيرهما الأسود الملعون ، فى حين راح قرص سميك يحلّق فوقهما ، فى مسار دائرىّ محدود ، وصوت (مشيرة) يقول فى حزن :

ــ عندما تحين اللحظة الحاسمة ، سيتوقّف ذلك القرص المبرمج آليًا عن التحليق .. سيتوقّف فوق رأسيهما مباشرةً ، وستنطلق منه حزمة عملاقة من الأشعة الأرجوانية ، تسحقهما سحقًا ..

قالت العبارة الأخيرة فى صوت متهدج ، يقطر حزنًا ومرارة ، ثم شهقت ، فيما بدا أنه لحظة بكاء ، عجزت عن كتمانها ، قبل أن تصمت لحظات أخرى ، أطلقت لدموعها فيها العنان ، لتستطرد فى صوت مختنق :

— وسيحدث هذا عند الفجر تمامًا .. أى بعد عشرين دقيقة بالتحديد .. فقط عشرين دقيقة ..

* * *

عقد الإمبراطور (آغرو) حاجبيه ، وهو يشاهد ما يحدث ، على شاشته الخاصة ، وهتف فى حنق ، ضاربًا مسند عرشه البلّورىّ بقبضته ، كعادته عند الغضب :

— ما الذى يحدث هنا ؟.. أى هُراء هذا ؟.. مَنْ أمر به ؟

أجابه الحكيم (جلاكس) فى هدوء :

— إنها لحظةُ (كوماد) .

صاح فى غضب :

— ومَنْ أمره أن يفعل هذا ؟

أجابه (جلاكس) :

— أنت يا مولاى .

صرخ مستنكرًا :

— أنا ؟!

أجاب الحكيم :

— نعم يا سموّ الإمبراطور .. أنت طلبت منه أن يُوقع بالرائد (نور) ، بأى ثمن ، ومنحته سلطات مُطلقة ؛ ليؤدّىَ ذلك ، ولقد فعل ما فعل ، مسترشدًا بما منحته إيّاه .

هتف الإمبراطور فى غضب ، وهو يشير إلى شاشته :

— ولكنه يتجاوز حدوده كثيرًا .. لقد خالف سياستى الإعلامية ، وسمح لأرضية ببث البرامج ، و .....

قاطعه الحكيم فى هدوء :

— إنما يسعى لنيل الفوز يا مولاى .

صاح الإمبراطور :

— هذا لا يمنحه حق مخالفة سياستى .

ابتسم الحكيم فى هدوء ، وقال :

— هذا يتوقّف على ما تسعى إليه يا مولاى .

سأله الإمبراطور فى حِدّة :

— ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء :

— أعنى أن هذا يتوقّف على أيهما أكثر أهمية لك يا سموّ الإمبراطور ؟.. السياسة الإعلامية ، أم الرائد الأرضىّ (نور الدين) ؟

صمت الإمبراطور لحظة ، ثم أجاب فى عصبيّة :

ـــ اسمه وحده يكفى لأن أجعل منه هدف .

باغته الحكيم بالسؤال :

ـــ لماذا ؟

عقد الإمبراطور حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ هذا شأنى .

أومأ الحكيم برأسه ، قائلاً :

ـــ بلا شكّ يا مولاى ، ولكن هناك عدة أسئلة تدور فى رأسى ، منذ زمن قريب .. قبل أن تبدأ حملتنا على الأرض .

سأله الإمبراطور فى حِدّة :

ـــ مثل ماذا ؟

أجابه الحكيم :

ـــ مثل إصرارك على الحصول على ذلك الرائد الأرضىّ ، ومن قبله حملتك المفاجئة على كوكب الأرض ، ثم كَوْنك الوحيد الذى يتحدّث لغة أهل الأرض ، دون الحاجة إلى خوذات الترجمة ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى صرامة :

ـــ كفَى أيها الحكيم .

ثم نهض من فوق عرشه البلّورى ، مستطردًا فى حِدّة :

ـــ أنت أيضًا تتجاوز حدودك الآن .

لم يَبْدُ على الحكيم أن هذه الغضبة قد أخافته ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ عفوًا يا مولاى .. لم أقصد ذلك .

لوّح الإمبراطور بذراعه كلها فى ثورة ، وهو يهتف :

ـــ أنت لا تدرك حدود قُدُرات إمبراطورك .. لا أحد فى الإمبراطورية كلها يدرك ، ولتعلم أننى أكره الأسئلة ، وأكره من يلقيها .

ثم أردف فى صرامة مخيفة :

ـــ وكثيرًا ما أفضّل إبعاده عن طريقى .

ابتسم الحكيم ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـــ ربّما كان هذا هو الأسلوب الأسهل يا مولاى .

ثم رفع سبّابته أمام وجهه ، مستطردًا فى حزم :

ـــ وليس الأمثل .

رانَ عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

ـــ ربّما أيها الحكيم .. ربّما .

ثم عاد يجلس فوق عرشه البلّورى ، ويمّم وجهه شطر شاشة راصده الخاص ، وهو يقول فى بُرود :

ـ دع ذلك لما بعد ، أمّا الآن فلنتابع معًـا مراسم الإعدام .. إن هذا يبدو لى مثيرًا .. مثيرًا للغاية ..

* * *

تطلّعت (مشيرة) إلى ساعتها ، وهى تقول ، عَبْرَ شاشات البثّ ، فى كل أنحاء العالم :

ـ بقيت عشر دقائق فقط ، ويتم تنفيذ حكم الإعدام .. والعالم كله يتساءل الآن : هل سيظهر الرائد (نور) ؟.. أهو حَىٌّ يرزق ، أم لقِىَ مصرعه منذ عام كامل ، مع بداية الـ ..... ؟

محا المراقب الإليكترونى ، الذى زُوِّدت به أجهزة البثّ ، العبارة التالية ، التى أشارت إلى وقوع الاحتلال ، وكأنما تصوَّر المحتلُّون أنهم ، بمحوِ الكلمة ، سيمحون حقيقـة الاحتلال ، الكامنـة فى أعمـاق كل أرض ، كما يتصوَّر المستعمرون دوْمًا ، ثم عاد صوت (مشيرة) يتردّد :

ـ وستبقى هذه الأسئلة حائرة ، حتى تحين لحظـة الإعدام .. ولن يطول انتظارنا لها .

مال أحد قادة (كوماد) نحو سيِّده ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول فى اهتمام مشوب بالقلق :



تطلّعت (مشيرة) إلى ساعتها ، وهى تقول ، عَبْرَ شاشات البثّ ، فى أنحاء العالم : بقيت عشر دقائق فقط ..

— أتظن أن ذلك الرائد الأرضى سيظهر ياسيّدى ؟

أجابه (كوماد) فى حزم :

— نعم .

ثم استدرك فى سخرية :

— لو أنه على قيد الحياة .

أتاه صوت الرجل ، وهو يقول فى انفعال بالغ :

— أظنه كذلك ياسيّدى .

التفت إليه (كوماد) ، وهو يهتف فى دهشة :

— ما الذى دعاك إلى هذا القول ؟

لم ينبس الرجل ببنت شفة ، وإنما أشار إلى السماء ، إشارة جعلت (كوماد) يستدير ، بكل ما أوتىَ من سرعة وانفعال ، ويهتف :

— اللّعنة !!

فهناك .. فى السماء ، كانت مقاتلة أرضية تندفع نحو المنصّة ..

لقد بدأ الهجوم ..

بدأ جوًّا ..

* * *

٧ ـ الأبطال ..

كل العالم رأى المقاتلة الأرضية تنقض ..

والجميع أصابهم ذُهُول عارم ..

(كوماد) وقف يحدّق فيها مشدوهًا ، غير مصدّق ..

الحكيم (جلاكس) ، هتف فى دهشة :

— يا إله (جلوريال) !.. لم أتصوّر أبدًا أنهم مازالوا يملكون مثلها .

وهبّ الإمبراطور من عرشه ، هاتفًا فى مزيج من الدهشة والغضب :

— هذا مستحيل !! لقد دمرناها عن آخرها .. ربّما .. ربّما هى صورة هولوجرافية ، أو شىء من هذا القبيل !!

لم يكد يتم عبارته ، حتى أطلقت المقاتلة الأرضية شعاعًا ليزريًا ، أردَى أحد الغزاة ، فهتف الحكيم :

— بل هى حقيقة .. لقد حصلوا عليها بوسيلة ما .

صاح الإمبراطور :

ـــ فليعدموا الأرضيين على الفور إذن .. لا داعى للانتظار .

أجابه الحكيم ، فى محاولة لتهدئته :

ـــ هذا مستحيل يا مولاى !! اهدأ .. القرص مبرمج إليكترونيًا ، ومن المستحيل تغيير برنامجه الآن ..

انهار الإمبراطور فوق مقعده ، وراح يحدّق فى شاشته ، التى نقلت إليه مشهد المقاتلة الأرضية ، وأشعتها اللّيزريّة ، التى راحت تحصد الغزاة بلا رحمة ، وغمغم :

ـــ اللّعنة !.. اللّعنة !

تمتم الحكيم :

ـــ ثم إننا لم نخسر المعركة بعد .

أجابه الإمبراطور فى حدّة :

ـــ ولم نربحها .

ثم أضاف فى حنق :

ـــ ومن الأفضل لـ (كوماد) أن يربحها ، وإلا فالويل له .. الويل للخاسر .

* * *

حدّق (كوماد) فى المقاتلة الأرضية مشدوهًا ، ولكن تحديقهُ هذا لم يدم سوى لحظة واحدة ، هتف بعدها فى غضب :

ـــ أطلقوا الأشعة .. دمّروا تلك المقاتلة اللّعينة .

ارتفعت فوّهات البنادق نحو المقاتلة ، وانطلقت آلاف الخيوط ، من الأشعة الأرجوانية القاتلة ، وسَرَت همهمة رهيبة بين تلك الملايين ، التى تتابع المشهد ، فى كل أنحاء العالم .

لقد حقّقت لهم تلك المقاتلة حُلمًا ..

منذ عام كامل ، وهم يتابعون ذلك البحث الوحشىّ ، عن الرائد (نور) ، فى كل مكان ، وكل قارّة ، وكل بلد ..

وبات من الواضح أنه عدوّ الغزاة رقم واحد ..

وأنهم يخشونه ..

ويرهبونه ..

كان الوحيد الذى شغل الغزاة ، طوال عام كامل من الاحتلال ..

وكان هذا مُبهرًا ..

كل شعب يبحث عن بطل ..

كل أمّة تبحث عن قائد ..

كل عالم يبحث عن زعيم ..

ولقد أصبح (نور) هو البطل ..

هو القائد ..

هو الزعيم ..

الغزاة ، الذين أرادوا قتله ، هم الذين صنعوا منه ذلك ..

إصرارهم على البحث عنه ، خلق منه بطلاً ، فى عيون أهل الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ..

شراستهم نحوه ، جعلت منه قائدًا للجموع ، التى تحلُمُ بالحرية ..

غضبهم عليه ، أنجب فيه زعيمًا ، ينتظره العالم أجمع ..

ومع مضى الوقت ، صار (نور) حُلمًا بالحريـــة ، وأسطورة للخلاص ..

وعندما أعلن (كوماد) عن تحدّيه له ، وعن إعدامه لوالديْه ، خفقت قلوب سكان العالم ، وهم يتساءلون ..

هل سيظهر (نور) ؟..

هل سيتحوّل الحُلم إلى حقيقة ؟ ..

هل ستسمو الأسطورة فى عالم الواقع ؟!..

وكلهم خرجوا يشاهدون مراسم الإعدام ، على شاشات الغزاة ، فى كل ميادين العالم ، أملاً فى رؤية الأسطورة ..

وعندما ظهرت تلك المقاتلة ، خفقت قلوبهم فى شدة ..

لقد بدأ الحُلم..

حُلم الحرية ..

ولكن فجأة ، ضاع كل شىء ..

لقد انفجرت المقاتلة ..

أصابتها الأشعة الأرجوانية ، فانفجرت ..

ورانَ الصمت فى العالم أجمع ، فى لحظة واحدة ..

حتى الأطفال ، توقّفوا عن البكاء ..

حتى الحشرات والحيوانات صمتت ..

(كوماد) وحده أطلق ضحكة عصبيّة قويّة ، ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ لقد ضاع أملكم يأهل الأرض .. لقد انتهى بطلكم وضاع .

صرخت أمّ (نور) فى سجنها الكهرومغناطيسى :

ـ ولدى !!

وبكى والده فى مرارة ..

وصاح الإمبراطور (آغرو) فى مركز قيادة الغزو :

ـ لقد انتصرنا أيها الحكيم .. لقد انتصرنا .

ابتسم الحكيم (جلاكس) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ لقد انتصر (كوماد) يا مولاى .

هتف الإمبراطور فى صرامة :

ـ بأوامرى وقيادتى .

ابتسم الحكيم ، متمتمًا :

ـــ بالطبع يا مولاى ، فالهزيمة ابنة سفاح ، والنصر له ألف أب .

قال الإمبراطور فى حدة :

ـــ ماذا تقصد أيها الحكيم ؟

أجابه الحكيم فى هدوء :

ـــ لا شىء يا مولاى .. لا شىء .

رمقه الإمبراطور بعينيه الدمويتين فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ اللعنة على الحكماء .

ثم التفت إلى شاشة راصده الخاص ، مستطردًا :

ـــ تبًا لك .. دعنا نشاهد لحظة النصر على الشاشة .

كانت الشاشة تنقل ـــ فى تلك اللحظة ـــ صورة (كوماد) ، وهو يرفع ذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ـــ المجد لـ (جلوريال) .. المجد لـ ......

قاطعه صوت أحد رجاله من حوله ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ للأرض .

التفت إليه (كوماد) فى حدة ، وهتف فى غضب :

ـــ ماذا تقول أيها الحقير ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

ـــ أقول إن المجد للأرض يا (كوماد) .. صحيح أننا لم نلتقِ أبدًا من قبل ، ولكن كل منّا يعرف الآخر جيدًا .. اسمى (نور) .

وبحركة حادة ، انتزع عن وجهه ذلك القناع الأخضر ، الذى يحمل ملامح الغزاة ، مستطردًا فى حزم وقوة :

ـــ الرائد (نور الدين محمود) .. من الأرض ..

* * *





وبحركة حادة ، انتزع عن وجهه ذلك القناع الأخضر ، الذى يحمل ملامح الغزاة ..

٨ ـ أسطورة الخلاص ..

من المستحيل وصف ذلك الدوىّ ، الذى أحدثه ظهور (نور) المفاجىء ، فى العالم كله ..

إنه لم يكن دويًّا فحسب ..

لقد كان قنبلة ..

قنبلة انفجرت على هيئة صمت رهيب ، وعيون متسعة ، وقلوب مرتجفة ..

ثم صيحة واحدة ..

صيحة ارتجّ لها كوكب الأرض بأكمله ..

صيحة انطلقت من أفواه آلاف الملايين ، فى لحظة واحدة ..

صيحة تحمل شهادة ميلاد المقاومة ..

واسم (نور) ..

وتجمّد (كوماد) فى ذُهول حقيقى هذه المرّة ..

ذُهول لم يجمّده وحده ، بل جمّد جيشه ، ورجاله ..

وحتى إمبراطوره ..

لقد كان الجميع يتوقّعون هجومًا جويًا ، أو بريًا ..

أو انتحاريًا ..

ولقد حطّم انفجار المقاتلة أملهم ، وأسال دموعهم ..

مزّق أفئدتهم ، وأذاب أحلامهم ..

ثم كان ذلك الظهور المفاجئ لـ (نور) ..

ظهر القائد والزعيم والأسطورة ..

ظهر من آخر مكان توقّعه أى مخلوق ..

فى جيش (كوماد) نفسه ..

وبين قادته ..

فى تلك اللحظة علم العالم كله أن الأرض لم تستسلم بعد ..

ما زالت هناك مقاومة ..

ما زال هناك أمل ..

أمل يُدعى (نور) ..

* * *

كل شىء تحرّك فى سرعة مُذهلة ، منذ تلك اللحظة ..

لقد أعلن (نور) عن نفسه ، ثم استغلّ عامل المفاجأة ، والذُّهول الذى أعقب ظهوره ، بعد أن شعر الغزاة بانتصارهم ،

وأيقنوا منه ، ودفع قبضته فى فك أقربهم إليه ، فألقاه من فوق منصة القيادة ، ثم ركل ثانيًا فى معدته ، لو أن معدة الغزاة تحتل نفس موضع معدتنا نحن ، وأطلق أشعة بندقيته الأرجوانية على مَنْ حوله ، قبل أن يلصق فوّهتها بعنق (كوماد) ، صائحًا فى سُخرية :

ـ ما رأيك يا قائد الأوغاد ؟ .. لمن المجد اليوم ؟

قال (كوماد) فى حنق :

ـ للمنتصر .

ثم أضاف فى غضب :

ـ وأنت لم تنتصر بعد .

كان الجميع يطلقون صيحات السعادة والتأييد ، وقد شملهم حماس جُنونى ، أنساهم وجود حرّاس الغزاة من حولهم ، أو جعلهم لا يبالون بهم ..

حتى (مشيرة) ، ألقت خوفها ومرارتها جانبًا ، وراحت تصرخ عَبْر شبكات البث ، فى جميع أنحاء العالم :

ـ لقد ظهر .. لقد ظهر القائد .. الأسطورة أصبحت حقيقة .. حانت لحظة المقاومة والصراع .. حانت لحظة المقاومة ..

وصرخ الإمبراطور (آغرو) ، فى مركز القيادة :

ــ أوقفوا البثّ .. امنعوا تلك الحقيرة من إشعال جَذْوَة الحماسة .. امنعوها .

قال الحكيم فى انفعال ، قلّما يسيطر على مشاعره :

ــ أنت وحدك تملك إصدار مثل هذا الأمر يامولاى ، فلقد أصدر (كوماد) أوامره بالبث ، مهما كانت الأسباب ، ولن يجرؤ مخلوق واحد على كسر أوامره ، إلا بأمر مباشر منك .

صاح الإمبراطور :

ــ صِلْنى بكل مراكز البثّ إذن .. وعلى الفور .

ثم أضاف فى صوت ارتجف من شدة الانفعال :

ــ ومُرْ بقتل هذه الحقيرة .. وبلا رحمة .

* * *

تجمّد جنود الغزاة كلهم ..

لم يدرِ أحدهم ماذا يفعل ..

ولم يجرؤ أحدهم على إتيان أى أمر ، دون رغبة (كوماد) ..

ولكن (كوماد) كان فى شغل عنهم ..

كان يهتف فى وجه (نور) :

ــ لو أنك تتصوّر أنك قد ربحت ، فأنت واهم .

أجابه (نور) فى سُخرية :

ــ هكذا ؟!.. أنسيت أننى قد أثرت جيشك كله بمقاتلة أطفال ، صغيرة الحجم ، تعمل بواسطة التوجيه البعيد (ريموت كنترول) ، وتم تزويدها بمسدس الليزرى ؟.. أتتجاهل أننى قد خدعتكم جميعًا ، وخرجت لكم من قلب حصنكم الحصين ؟ .. أتنكر أن أحدًا من رجالك لن يجرؤ على القتال ، وأنا ألصق فوّهة تلك البندقية ، التى تُطلق أشعتكم الأرجوانية الساحقة ، بعنقك ؟

هتف (كوماد) فى غضب :

ــ لست أدرى كيف أمكنك أن تفعل كل هذا ؟ ولكنه لا يعنى أنك قد انتصرت .. أنسيت أنك تكشف عن وجودك هكذا ؟

ابتسم (نور) ساخرًا ، وهو يقول :

ــ أنت منحتنى الفرصة المناسبة لذلك أيها الوغد ، فلقد كان ظهورى حتميًا ، ولكنك ساعدت على أن تصحب ذلك ضجة إعلامية رائعة ، فشكرًا لك .

بكت أمّ (نور) عند هذه اللحظة ، وهي تلتصق بزوجها ، هاتفة :

ـ إنه ابننا يا (محمود) .. إنه حيٌّ .. حيٌّ ..

ضمّها والد (نور) إلى صدره ، وهو يقول فى اعتزاز :

ـ اصمتى يا عزيزتى .. إننى أعجزُ عن الكلام ، فهناك شعور قوىّ يملأ نفسى ، ويتغلغل فى كيانى .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ الفخر .

ومع تلاشى حروف كلمته ، كان (كوماد) يهتف :

ـ لقد نسيت والديك أيها الرائد الأرضىّ .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ يا له من قول أحمق !

صاح (كوماد) :

ـ بل لقد نسيتهما .. نسيتهما تمامًا .

لكزَهُ (نور) بفوّهة بندقية الأشعة الأرجوانية فى عنقه، وهو يقول فى استهجان :

ـ قل لى إذن أيها الوغد ، لأى سبب تتصوّر أننى قد فعلت كل هذا ؟ .. أمن أجل تحديك فحسب ؟

قال (كوماد) فى صرامة :

ـ أعلم أنك قد فعلت كل هذا من أجلهما ، ولكنك نسيت أنهما مازالا تحت القرص ، وأنه بعد ثلاثة دقائق بالتحديد ، سيتوقّف القرص عن التحليق ، وسيغمرهما بالأشعة الساحقة ، وأنه ما من سبيل لمنعه .. ما من سبيل قطّ ..

* * *



٩ ـ مِنْ كلِّ صَوْب ..

كانت (مشيرة محفوظ) تواصل صياحها فى حماس جُنونى ، عندما توقَّفت كل أجهزة البثّ دفعة واحدة ، بأمر من الإمبراطور (آغرو) ..

ورأت (مشيرة) بعض الغزاة يُهْرَعون نحوها ، وسمعت أحدهم يهتف :

ـ اقتلوها .. إنها أوامر الإمبراطور .

وانطلقت نحوها دفعة من الأشعة الأرجوانية ، تفادتها بمعجزة ، وهى ترتجف رُعْبًا وهَلَعًا ، وتصرخ :

ـ أيها الأوغاد .. أيها القتلة ..

انطلقت تعدو فى رُعْب هائل ، وخيوط الأشعة البنفسجية تلاحقها فى إصرار ، وتسحق كل ما تمسّه ، حتى وجدت أمامها بغتة اثنين من الغزاة ، يصوّبان بندقيتيهما إليها ، فانهارت صارخة :

ـ عليكم اللّعنة !! عليكم اللّعنة جميعًا !!

وضغط الغازيان الجديدان زِنادَىْ بندقيتيهما ، وانطلقت الأشعة الأرجوانية ..

* * *

أدار (نور) عينيه فى لهفة ، إلى حيث يقف والده ، وانتقل بصره إلى ذلك القرص السميك ، الذى يحلّق فوقهما ، وغمغم فى لَوْعة :

ـ أبى .. أمى .

وفى حنق ، أطلق الأشعة الأرجوانية نحو القرص ، الذى امتص الأشعة على الفور ، وصاح (كوماد) فى سخريه :

ـ أطلق أيها الرائد .. إنه يختزن كل ما تطلقه نحوه .. محاولاتك لن تسفر إلّا عن مزيد من الأشعة على رأس والديك .. عندما تحين اللحظة الحاسمة .

صاح (نور) :

ـ أيها الحقير .

وفجأة ، ضرب (كوماد) بندقيه (نور) ، وهو يصرخ :

ـ لقد أخطأت أيها الأرضىّ ..

وهوَت قبضته الأخرى على فكّ (نور) ، وهو يستطرد :

ـ أخطأت بإبعاد فوّهة سلاحك عن عنقى .

صرخت أمّ (نور) فى جزع ، وهتف أبوه :

ـ يا إلهى !!.. (نور) !

أمّا (نور) نفسه ، فقد تفادى لكمة (كوماد) فى براعة ، وهو يهتف :

— ليس بهذه البساطة أيها الوغد .

وانحنى فى مرونة ، على الرغم من تلك الأطوال الإضافية ، فى حُلَّته التنكرية ، ثم كال لـ (كوماد) لكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

— إننا نتفوّق فى الصراع البدنىّ .

تراجع (كوماد) فى عُنف ، ثم اعتدل ، صارخًا :

— صدقت أيها الأرضىّ .. أنتم تتفوّقون بدنيًا ، أمّا نحن ، فنتفوّق فى كل المجالات الأخرى .

وقفز فجأة من فوق المنصّة ، صائحًا :

— اسحقوه يا رجال .

وإثر كلمته ، وقبل أن تتلاشى حروفها ، كانت فوّهات مئات البنادق ، ذات الأشعة الأرجوانية ، تتجه نحو (نور) ..

وبدا أنها النهاية ..

* * *

أغمضت (مشيرة) عينيها ، وتصوّرت أنها ستلقى حتفها بلا ريب ، وستتحوّل ، عندما تصيبها الأشعة الأرجوانية ، إلى كُومَة من الرماد ..

هذا لو تبقّى منها ما يكفى لصنع تلك الكُومَة ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد انطلقت الأشعة الأرجوانية حقًا ، ولكنها لم تتجه إليها ..

لقد تجاوزتها إلى مطارديها ..

وسحقتهم سحقًا ..

وفى ذُهُول ، استمعت إلى صوت أحد الغازين ، اللَّذين يواجهانها ، وهو يقول بلهجة مصريّة :

— لا تخشَىْ شيئًا يا (مشيرة) .. أنا (محمود) ، عضو فريق (نور) .. وهذه (نشوى) .. ابنته .

هتفت فى ذُهُول :

— (محمود) ؟!.. (نشوى) ؟!.. ولكن مظهركما ؟!..

أجابها (محمود) فى سرعة :

— إنه تنكُّر مُتقن .. أعدَّته (نشوى) .. سنشرح لك هذا فيما بعد .. أمّا الآن ، فلنبتعد عن هنا بأقصى سرعة .. إنها معركة مصير .

هتفت (مشيرة) ، وهى تعدو إلى جوارهما :

— ولكن أين باقى الفريق ؟

أجابتها (نشوى) فى مرارة :

— (رمزى) والدكتور (حجازى) مفقودان ، منذ عام كامل ، وأمى هناك ، عند منصة الإعدام .

سألتها فى دهشة :

— وماذا تفعل هناك ؟

أجابها (محمود) :

— تحاول أن تجد وسيلة ؛ لإنقاذ والدى (نور) .. لقد أصبحت خبرتها ومهارتها هما أملهما الأخير الآن .. والوحيد ..

* * *

انطلقت (سلوى) ، فى زى الغزاة وهيئتهم ، نحو منصة الإعدام ، وهى تتطلع إلى ساعتها ، مغمغمة :

— رباه !!.. ساعدنى يا إلهى .. لقد بقيت أمامهما دقيقتان فحسب .. ينبغى أن أبذل أقصى جهدى ، أو نفقدهما إلى الأبد .

اعترضها حارسا المنصة ، وقال أحدهما فى صرامة :

— قف أيها الزميل .. الاقتراب من هذا المكان محظور .. إنها أوامر القائد (كوماد) .

قالت فى توتر :

— ولكننى هنا بناء على أوامره .. هو الذى طلب منى المجىء ، و ......

قاطعها فى صرامة :

— قف ، وإلا .....

ورفع فوهة بندقيته فى وجهها ، فهتفت :

— لا بأس .. لا بأس .. سأعود .. ولكن عليكما أن تتحملا غضبة القائد (كوماد) ، و .....

وفجأة ، شهرت بندقيتها فى وجهيهما ..

وأطلقت أشعتها الأرجوانية ..

وسحقت أولهما ..

وصرخ الثانى :

— خيانة !! خيانة !!

ولكنها كتمت صرخته ، وسحقته أيضًا بطلقة ثانية ، ثم ارتجف جسدها ، وهى تتمتم :

— يا إلهى !!.. إنه الموت ، كما يقول (نور) .. الموت فى كل مكان ، ومن كل صوب .

سرت فى جسدها قشعريرة ، وهى تتطلع إلى ساعتها ، متمتمة :

— بقيت دقيقة ونصف فقط .

ارتجفت مرّة أخرى ، وهى تميل نحو جهاز البث الكهرومغناطيسى ، الذى يصنع حاجزًا يستحيل اختراقه ، حول والدى (نور) ، وراحت تدرس مسار أسلاكه ودوائره الدقيقة ، مغمغمة :

— يبدو أنها عملية معقدة بالفعل .. هؤلاء الأوغاد يستخدمون مصدرًا للطاقة من قطب واحد ، لا من قطبين ، كما نفعل نحن ، وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة .

وزفرت فى قوة ، ثم أردفت :

— ولكننى سأحاول على أية حال .

لم تكد تمد أصابعها نحو الجهاز ، حتى تجمّد كيانها كله ، على صوت أحد الغزاة ، وهو يقول فى صرامة :

— لن تفعل ، لأنك ببساطة لن تجدى الوقت الكافى لذلك .. إلا إذا كنتم — يأهل الأرض — تملكون القُدرة على العمل بعد الموت .

ورأت أصابعه تضغط زناد بندقيته ، المصوّبة إليها ..

ورأت الأشعة الأرجوانية تنطلق ..

* * *

كان الأمر يبدو — بالنسبة لـ (نور) — وكأنه النهاية ..

نهاية حياته ..

ونهاية الرمز ، الذى صار يحمله ..

لقد كانت مئات البنادق ، التى تطلق الأشعة الأرجوانية الساحقة ، مصوّبة إليه ..

وكان هناك صوت يصرخ :

— أطلقوا النار .

وخُيّل لـ (نور) أنه قد فقد إدراكه ..

أو فقد تمييزه للأمور ..

لقد سمع ذلك الصوت ، الذى أمر بإطلاق النار ، فى وضوح تام ..

ولكنه لم يكن صوت (كوماد) !!..

لم يكن حتى أحد الأصوات ، التى تترجمها الخوذات الشفافة !!..

كان صوتًا مألوفًا ..

صوتًا لم يسمعه منذ عام كامل ..

وإثر الصوت ، انطلقت الأشعة الأرجوانية من كل صوب ..

انطلقت نحو الغزاة ، وليست منهم ..

وأمام عيون (كوماد) ، المذهولة المستنكرة ، راح رجاله يسحقون سحقًا ..



وانطلقت من حزامه فجأة صواريخ نفّاثة ، دفعته إلى أعلى ، وصرخ نفس الصوت المألوف ..

وهتف (كوماد) و (نور) في آن واحد :

ــ مستحيل !!

وفجأة ، برز رجال من كل مكان ..

مئات من أهل الأرض ، برزوا من كل صوب ، وأيديهم تحمل تلك البنادق ، التي لم يحملها سوى الغزاة من قبل ..

كانت صحوة كبرى ..

وصاح (كوماد) في حنق :

ــ اللّعنة !

ثم ضغط زرًا في حزامه ، مستطردًا :

ــ لقد ربحت هذه الجولة أيها الرائد ..

صاح به (نور) :

ــ وأنت خسرت يا (كوماد) .

أطلق (كوماد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

وانطلقت من حزامه فجأة صواريخ نفّاثة . دفعته إلى أعلى ، وصرخ نفس الصوت المألوف :

ــ أطلقوا النار .. امنعوه من الفرار .

وانطلقت مئات الخيوط من الأشعة الأرجوانية ، نحو

(كوماد) ، ولكنها تلاشت كلها ، فوق درع خفىّ ، أحاط بجسده ، وهو يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ويقول فى صوت متخافض ، مع ابتعاده السريع :

ـ إنها جولة فحسب أيها الرائد .. إنك لم تربح المعركة بعد .

صاح (نور) فى غضب :

ـ وأنت كذلك أيها الوغد .

أتاه صوت قريب ، يهتف فى سعادة :

ـ (نور) .. حمدًا لله .. لم أتصوّر أن أراك مرّة ثانية أبدًا .

التفت (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادّة ، والتمعت عيناه بدهشة وفرح ، وهتف فى سعادة جمّة :

ـ أنت ؟!

وكان لقاءً مُبهجًا ..

مُبهجًا حقًّا ..

* * *

ضرب الإمبراطور (آغرو) مسند عرشه البلّورى بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ـ اللعنة .. اللعنة على كل ما حدث .

قال الحكيم فى توتّر :

ـ رُوَيْدك يا مولاى .. إنها جولة فحسب .

صرخ به فى غضب هادر :

ـ أتقول ذلك أنت أيضًا ؟

ولوّح بذراعيه ، مستطردًا فى ثورة :

ـ من الخطإ أن ينتصر الأرضيون .. من الخطإ أن يفعلوا .. سيمنحهم هذا شعورًا بأننا لسنا بالقوّة التى يتصوّرونها ، وسيستهينون بنا .. وستكون بداية للمقاومة والعُنف ..

قلّب الحكيم كفّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يا مولاى ؟

عاد يضرب مسند عرشه بقبضته ، هاتفًا :

ـ نبيدهم عن آخرهم .

اتسعت عينا الحكيم فى رُعب ، وهو يهتف :

ـ تبيدهم ؟!

أجابه الإمبراطور فى جِدّة :

ـ نعم .. سأبيد الكوكب كله ، لو لزم الأمر .. المهم ألا ينتصروا .

ثم ضغط عدّة أزرار أمامه ، صائحًا فى لهجة صارمة آمرة :

ــ أطلقوا عيون الحراسة .. أطلقوا كل ما لدينا منها .

وأردف ، وجسده كله يرتجف غضبًا وانفعالًا :

ــ ستخضع الأرض كلها ، أو تدفع الثمن .. كلها ..

* * *



١٠ ــ اللقــاء ..

ارتجفت (سلوى) فى رُعب ، عندما رأت الأشعة الأرجوانية تنطلق ، إلا أن صرخة الغازى جعلت عينيها تتسعان فى ذُهول ، وهى تتطلع إليه يسقط ، وينسحق ، واستدارت خلفها فى سرعة وحدّة ، وحدّقت فى ذلك الوجه الباسم ، للرجل الذى أنقذ حياتها ، وهتفت فى مزيج من الفرح والذُهول :

ــ (رمزى) ؟!.. ربّاه !! كم تسعدنى رؤيتك !.. لقد تصوّرت .. بل تصوّرنا جميعًا أنك قد انسحقت ، أسفل منزلك ، و ......

ربّت (رمزى) على وجهها ، مغمغمًا :

ــ لا عليك .. سأشرح لك ما حدث فيما بعد .. أمّا الآن ، فلنُول اهتمامنا كله لإنقاذ والدىّ (نور) .

هتفت فى جزَع :

ــ يا إلهى !.. هذا صحيح .

ثم تطلّعت إلى ساعتها ، مستطردة فى هلع :

ـ لم يَعُد أمامى سوى دقيقة واحدة .

هتف بها :

ـ هيّا إذن .. لن نضيع ثانية منها .

صاحت ، وهى تعمل فى جهاز البثّ فى سرعة :

ـ ابتعد أنت يا (رمزى) .

أجابها فى صرامة :

ـ سأبقى .

هتفت فى توتُّر :

ـ إننا أسفل منصّة الإعدام الآن ، وإذا ما فشلت فى إيقاف ذلك الحقل الكهرومغناطيسى ، فستسحقنا الأشعة الأرجوانية ، مع والدَى (نور) .

قال فى حزم :

ـ سأخاطر .

لم يكن هناك مجال للمناقشة ، فواصلت عملها ، وقلبها يدقّ فى عنف ..

كانت مسألة ثوانٍ ..

ثوانٍ تفصل بين الحياة .. والموت ..

* * *

كانت فرحة (نور) غامرة ، وهو يحتضن قائد هؤلاء الرجال ، الذين أنقذوه من موت محتوم ، ويهتف :

ـ دكتور (حجازى) !!.. يا لسعادتى برؤيتك !.. لقد مضى عام كامل ، تصوّرت فيه أننا لن نراك أبدًا .

هتف الدكتور (حجازى) فى سعادة :

ـ أنا أيضًا تصوّرت أننى لن أراك مرّة أخرى يا (نور) .

صاح (نور) ، وهو يدير عينيه إلى والديه :

ـ هذا شعورى فى تلك اللحظة ، نحو والدىّ .

التفت إليهما الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف فى جَزَع :

ـ يا إلهى !!.. والداك ؟

وصاح والد (نور) ، من خلف الحاجز الكهرومغناطيسى :

ـ لا تقلق بشأننا أنا وأمك يا ولدى .. إننا لم نَعُد نخشَى الموت أو نهايةً .. سنستقبله بنفوس راضية ، ما دمنا نطمئن إلى أنك بخير ..

تطلّع (نور) إلى ساعته ، وقلبه يخفق فى عنف ، وهتف فى لوعة :

ـ لقد فات الوقت .. بقيت عشر ثوان فحسب .. لن يمكننا أن ......

فجأة .. وقبل أن يتم عبارته ، اندفعت (سلوى) من أسفل منصة الإعدام ، هاتفة :

ـــ ابتعدوا .. ابتعدوا جميعًا .

وفي نفس اللحظة ، تلاشى الحاجز الكهرومغناطيسي ، وبرز (رمزي) من أسفل المنصّة ، واحتضن والدي (نور) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـــ هذا الأمر يشملكما أيضًا ..

صاح (نور) وهو يندفع نحو والديه :

ـــ (رمزي) أيضًا ؟!.. ماذا يحدث ......؟

لم يَدَعْه (رمزي) يكمل عبارته ، وإنما صاح ، وهو يدفعه مع والديه جانبًا :

ـــ ألم تسمع ؟.. قالت زوجتك ابتعدوا ..

وهنا انطلقت الأشعة الأرجوانية كحزمة عملاقة ، من القرص ، وأصابت منصّة الإعدام ..

وانسحقت المنصّة تمامًا ، في دويّ شديد ..

انسحقت كنملة ضعيفة ، وطئتها أقدام فيل ضخم ..

وتردّد الدّويّ طويلًا ، ثم تلاشى تدريجيًا ..

وحدّق والد (نور) فيما خلفته حزمة الأشعة ، وهو يهتف :

ـــ يا إلهي !!.. ثوانٍ معدودة ، وكان هذا كل ما سيتبقّى منّا أيضًا .

هتف (نور) في سعادة جمة :

ـــ ولكنكما نجوتما .. والحمد لله ..

تعانق مع والديه في حرارة ، وتفجّرت الدموع في عيون الجميع ، وأقبل (محمود) و (نشوى) و (مشيرة) ، وكان لقاءً رائعًا ..

* * *

قال (رمزي) ، يصف لرفاقه ما حدث ، منذ افترق عنهم ، مع بداية الغزو :

ـــ لقد تحدثت مع (محمود) ، عبْر جهاز التليفيديو ، في ذلك اليوم ، ثم رأيت منزلًا ينسحق أمامي ، ورأيت نساءً وأطفالًا يصرخون ألمًا ، والدماء تنزف منهم في غزارة ، فغادرت منزلي ، وأسرعت إليهم ، أحاول إنقاذهم ، ولم أكد أفعل حتى انسحق منزلي أيضًا ، ولكنني لم ألتفت إليه .. كان الموقف بأكمله رهيبًا مخيفًا ، حتى أن الدمار قد صار فيه أمرًا عاديًا مألوفًا ، وبينما أنا أُسْعِف من حولي ، سقط شيء ثقيل على رأسي ، و .....

صمت لحظة ، ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، مستطردًا :

— وفقدت وعيي .

غمغمت (نشوى) فى إشفاق :

— يا للمسكين !

رمقتها (مشيرة) بنظرة غيْرة ، ثم تمتمت :

— وماذا حدث بعد ذلك ؟

لوّح بكفه ، قائلاً :

— سَلوا الدكتور (حجازى) .

التفت الجميع إلى الدكتور (حجازى) ، الذى ابتسم ، قائلاً :

— عندما بدأت المعمعة ، هرعت من منزلى إلى أقرب منازلكم إلىّ .. إلى منزل (رمزى) .. كنت أريد أن أطمئن عليكم جميعًا ، وعندما بلغت منزل (رمزى) ، هالنى أن وجدته مسحوقًا ، وتصوّرت ، مثلما حدث معكم ، أن (رمزى) قد لقىَ مصرعه أسفله ، إلا أننى وجدته ملقى فى طريق قريب ، فأسرعت إليه ، وكشفت أنه حىّ ، ولكنه فاقد الوعى ، ولمّا كان القصف عنيفًا فى المنطقة ، فقد حملته إلى سيّارتى ، وانطلقت به مبتعدا ..

صمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه ، وتابع :

— وقضى (رمزى) يومًا كاملاً فاقد الوعى ، مصابًا بحمّى مجهولة ، ينتفض ويرتجف ألمًا ، حتى استعاد وعيه ، ورُحنا نبحث عنكم معًا ..

تنهّد فى عمق ، وأكمل :

— وأصبح من المستحيل أن يجد كل منّا الآخر ، ولكننا رأينا — (رمزى) وأنا — أن بحث الغزاة عن (نور) ، يعْنى أنه ما زال حيًّا ؛ لذا فقد انتظرنا اللحظة المناسبة ، التى يقرّر فيها أن يُعلن عن وجوده ، ورُحنا نستعد لها .. وفى صمت وسريّة ، رُحنا ننظّم فرقة للمقاومة .. وكان (نور) يتحوّل ، مع مرور الوقت ، إلى أسطورة ، تذكى نارها ، وتؤيدها .

وابتسم ابتسامة واسعة ، مستطردًا :

— حتى حانت اللحظة .

التقط (رمزى) منه طرف الحديث ، وأكمل :

— كنّا نعلم أن (نور) سيقبل التحدّى .. خبرتى معه ، ودراستى للطب النفسىّ كانت تؤكّد لى أنه سيفعل .. ولقد كنت على حقّ كما ترون .. المهم أننى والدكتور (حجازى) قد تعاونّا ، وجمعنا كل فريق المقاومة ، واستعد الجميع للحظة الصفر ، ولم يكد (نور) يظهر ، حتى انقضّ فريق المقاومة

التابع لنا ، على كل من صادفه من الغزاة ، وانتزع أسلحتهم ، وقاتلهم فى شراسة .

وتسلَّلت نبرة حزينة إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ لقد فقدنا العشرات فى تلك الموقعة ، ولكننا حصلنا على الأسلحة .

ربَّت (نور) على كتفه قائلاً :

ـ نحن نعلم الباقى .

وهتفت (نشوى) :

ـ لقد كنت رائعًا .

ابتسم (رمزى) ، وهو يتطلَّع إليها فى حنان ، فأشاحت (مشيرة) بوجهها فى مرارة وغيْرَة ، محاولةً أن تخفى دمعة فرَّت من عينيها ، وهى تقول فى حدَّة وصرامة :

ـ لابأس .. ماذا سنفعل الآن ؟

صاح (محمود) فى ذعر :

ـ لو سألتمونى رأيى ، لقلت إن أفضل ما نفعله الآن هو الفرار .

استدار الجميع إلى حيث ينظر ، وعلموا أنه على حق ..

لقد كانت هناك آلاف من عيون الحراسة تندفع نحوهم ..

ولم يكن هناك مهرب ..

لقد أطبق الفخ فكَّيْه ..

أطبقهما فى إحكام ..

* * *



١١ — المذبحة ..

كانت حقًا مذبحة ..

آلاف من خيوط الأشعة الأرجوانية ، انطلقت من الجانبين ..

مئات من عيون الحراسة انفجرت وتحطمت ..

عشرات من رجال المقاومة انسحقوا وفتّتوا ..

وكان الجميع يهرعون إلى هدف واحد ..

الفرار ..

لم تكن معركة متكافئة على الإطلاق ..

كانت العيون تصيب هدفها فى دقة بالغة ..

وكانت تأتى بالآلاف ..

كل عين تنفجر ، تأتى عشرات بدلًا منها ..

وانطلق (نور) ورفاقه يعدون ، و (سلوى) تهتف :

— لقد أخطأنا .. كان ينبغى أن نعود على الفور ، بدلًا من أن نبقى فى أماكننا ، حتى يهاجمنا الغزاة مرّة أخرى .

صاح بها (نور) :

— لاوقت للندم .

ثم استدار فى سرعة ، وأطلق أشعة بندقيته على ثلاث عيون ، انفجرت على الفور ، وهو يستطرد :

— المهم أن نبلغ نقطة الأمان .

هتفت (نشوى) :

— لقد وضعت جهاز نقل محدود هناك ، سيؤمّن لنا السلامة ، عندما نبلُغ موضعه .

صاح (نور) :

— وماذا عن الباقين ؟

هتفت به :

— لست أدرى .. إنه لن يحتمل طويلًا .. سينقل عشرين شخصًا على الأكثر .

هتف فى مرارة :

— يا إلهى !!

صاحت ، وهى تنحرف فى شارع جانبى :

— ها هو ذا .

ضغطت زرًا فى الجدار ، فانزاح جزء منه جانبًا ، وكشف عن فجوة بحجم رجل ضخم ، دفعت أمها إليها ، قائلة :

— هيّا .. ستكونين البادئة .

لم يكد جسد (سلوى) يستقر داخل الفجوة ، حتى تألق ، تلاشى على الفور ، فصاحت (نشوى) :

— هيّا يا أبى .

هتف فى حزم :

— النساء أوّلًا .

ثم دفع (مشيرة) داخل الفجوة ..

وصاحت (نشوى) ، وهو يدفعها إليه :

— كُنْ على حذر يا أبى .. سينفجر الناقل بعد عشرين مرّة فقط .

قال فى صرامة :

— أعلم .

ودفع جسدها داخل الناقل ، ورآه يتلاشى بدوره ، ثم راح يعاون كبار رجال المقاومة على الدخول إليه ، حتى سجل الناقل تسعة عشر انتقالًا ، وهنا هتف (نور) :

— بقِىَ واحد .. هيّا يا دكتور (حجازى) ..

هتف الدكتور (حجازى) :

— بل اذهب أنت يا (نور) .. أنت أكثرنا أهمية .

صاح (نور) فى حِدّة :

— هيّا .. لا وقت للجدال .. ستبلغنا عيون الحراسة بعد قليل .

أجابه (محمود) :

— الدكتور (حجازى) على حقّ يا (نور) .. أنت ينبغى أن تذهب .

هتف (نور) :

— مطلقًا .. سأبقى إلى النهاية .

تنهّد (رمزى) ، وربّت على كتفه ، قائلًا :

— معذرة يا (نور) ، ولكن .....

بتر عبارته بغتة ، وهوَى على فكّ (نور) بلكمة كالقنبلة ، فحدّق (نور) فى وجهه مذهولًا ، ثم سقط بين ذراعيه فاقد الوعى ، فأكمل (رمزى) فى إشفاق :

— لو قضينا كلنا ، فلن يخسر العالم كثيرًا يا (نور) ، أمّا أنت ، فلقد أصبحت رمزًا .. رمزًا للحرية ..

ودفع (نور) داخل الناقل ، ووقف رجال المقاومة يشاهدون جسده يتألّق ، ثم يتلاشى ..

وانفجر الناقل ..

تلاقى بدوره ، بعد أن أتم مهمته ..

وتبادل رجال المقاومة نظرة ارتياح ، ثم استداروا يواجهون عيون الحراسة ، التى أقبلت بكل شراستها من بعيد ..

كانوا يعلمون أنها معركة خاسرة ، ولكنها ستخلد فى التاريخ حتمًا ، ما دامت قد حدثت فى ذلك اليوم ..

يوم مولد المقاومة ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

(الصــراع)

رقم الإيداع ٣٢١٥